تراتيل الميلاد

« الكلمة صار جسداً وحل بيننا ، ورأينا مجده مجداً ، كما لوحيد من الآب ، مملوءاً نعمة وحقا » . (يوحنا ١ – ١٤)

أحمدك أيها الآب ، لأنك أخفيت هذه عن الحكماء والفهماء ، وأعلنتها للجهال والأطفال ! سر التقوى الذى أعددته منذ الدهر ، أن تفعل شيئاً عجيباً فى أعيننا ، تشتهى الملائكة أن تطلع عليه !

أن يظهر الله فى الجسد !

والكلمة الابن الوحيد ، يتخذ لذاته هيئة البشريين . .

مشاركاً إخوته فى اللحم والدم . . (عبرانيين ٢ – ١٤) .

فهل تميل معى لتنظر هذا المنظر العظيم ؟

إنه « فى جسدى هذا أرى الرب » (أيوب ١٩ – ٢٦)

وما اشتهاه الآباء ، القديسون والملوك ، قد أظهر فى ملء الزمان !

فى بيت لحم الصغيرة ، فى ليلة مباركة . .

ليلة الظهور الإلهى !

سر تجسده ، مجده وتواضعه !
محبته للعالم ، وانبثاق عهد جديد بالنعمة والحق ، وسلام القلب وتقديس الضمير . . .
ليملك ولا يكون لملكه نهاية ، من مذود بيت لحم العجيب !

إنها ليلة واحدة فى التاريخ ، غيرت التاريخ ، فصارت الأيام تتبعه إلى انقضاء الدهر !
وهذا الإعلان رآه قوم ، ولم يره آخرون . .
فلمن أعلن ؟ ومن أبصره وعاين كلمة الحياة ؟

العذراء الأم ، أم الطهارة والنبل والإيمان . .
المطوبة فى النساء ، على مر الأجيال .
هى الممتلئة نعمة ، الحالّ فى أحشائها الروح القدس ، وقوة العلى تظللها . .
كل هذا لأن عذراء بارة ، قالت لله يوماً فى طاعة وإيمان . .
« ليكن لى كقولك » !
وآمنت أن يتم لها ما قيل من قبل الرب ، حافظة كل الأمور فى قلبها المفتوح لله !

أيها العزيز . . إنه يعلن سره لخائفيه . .
وكل الذين يطلبونه ، ويترجّون ظهوره .

ويوسف النجار !
قد آمن ، على خلاف المظنة ، بكلمات الملاك فى حلم الليل . .
فأخذ عذراءه القديسة ، ومضى متجولا . . (متى ١ — ٢١)
لم يتخلّ عنها سراً ، بل لازمها جهراً ، نهاراً وليلا !
أطاع الله أكثر من الناس ، طول أيام حياته . .
وآمن برسالة الملاك ، طارحاً عنه الوساوس والشكوك .

أيها العزيز إنه يعلن ذاته للأبرار . .
وأنقياء القلب ، هم أول من عاينوه . . (متى ٥ — ٨)

والرعاة الساهرون !
يحرسون حراسات الليل ، على رعيتهم . .
مثال الخدام الساهرين ، والرعاة المتيقظين ، وحكام الشعوب الأمناء المستعدّين .
إنه يظهر نوره وإشراقه ، للمستحقين من الفعلة فى كرمه الكبير .

قد مجّد المسيح ، الرعاة الساهرين مقدماً ، كل هذا المجد !
مشيراً إلى نفسه ، إلى خدمته ، على نفس المثال الرائع !

أنه سيكون راعياً صالحاً ، أميناً لشعبه وخرافه .
لا ينعس ولا ينام ، بل يرعى حملانه بعصا الرعاية العظيمة ، وقضيب الاستقامة الملوكى .

وليس فى بشارة الميلاد ، منظر أكثر روعة ورقة ، من رؤيا الرعاة البسطاء . .
ثم سياحتهم فى الطريق ، إلى مذود بيت لحم !
ولم يحدث لقوم فى التاريخ ، سرور وفرح كثير كما لمثلهم ..
وهم على سفر عجيب ، تلك الليلة ، إلى بقعة هادئة مجهولة !

نعم ! لم يحدث فى التاريخ ، أن ظهر ملاك مع جمهور الجند السموى . .
ينشدون ترتيلة مفرحة بهذا المقدار . .
لقوم مجهولين ، لم نعرف أسماءهم حتى اليوم !
إنها لحظة غير طبيعية . . لحظة عابرة !
رؤيا مجيدة ، للحالة التى عليها من هم فى الحياة السمائية . .
ترتيل ربوات ، من الملائكة والقديسين معاً !
وفرح حقيقى لانهائى ، فى السماء .

أيها العزيز . . كن خادماً مطيعاً . .

أمينا مثمراً ، ساهراً فى تلك الليلة . .
فقد تسمع أذناك صوتاً ملائكياً سعيداً ، أو أجراساً سمائية مطربة . .
وتنظر مجد الرب !

حتى الغرباء ، من الأرض البعيدة !
جاءوا من أقاصى الأرض وراءه ، ليسجدوا ويقدموا العطايا ..
ليس هذا إعلاناً بشرياً ، ولا الزيارة بحكمة بشرية . .
ليست من الناس ، بل من الله !
هوذا أعظم من سليمان ، فى أوج مجده !
ملكة سبأ ، جاءت قديماً لتسمع حكمة سليمان ، فى كل مجده !
وهنا فى المذود المتواضع ، وليد « أدخرت فيه كل كنوز الحكمة » ..
وأعظم من سليمان !

جاءوا ليسجدوا له ، أولئك الرجال الحكماء . .
قدموا له العطايا الخالدة ، إشارة لخدمته وخلود رسالته . .
(متى ٢ — ١١)
المسيح للأمم ! المسيح للجميع !

المسيح للغرباء عن رعوية الله !
للحكماء والجهلاء ، للمثقفين والأميين !
للمجوس ، والعبرانيين ، والأمم !
هو رأس الحكمة !
مشتهى الشعوب ، وقبلة الأنظار !

حتى الطبيعة . . كانت معه هناك !
النجم اللامع فى المشرق ، يتجه إليه . .
يتوقف فوق مذوده ، مشيراً أنه الطفل العجيب رئيس السلام
(متى ٢ — ٩) .
وقطيع من الأغنام ، كان أيضاً بين شهود عظمته !

أيها العزيز . . إن الطبيعة تعرفه !
فكل شئ به كان . . أقنوم الله ، وحامل كل الأشياء بكلمة
قدرته . .
النجم يشير إليه ، والرياح والأمواج تطيعانه . .
الأغنام تأنس له . . والوحوش تذللت عند قدميه ، فى البرية !
(مرقس ١ — ١٣)

من هو المولود ؟

أنت ملك الملوك ، ورب الأرباب ! (رؤيا ١٩ — ١٦)
ملك المجد . .

فاملك يا حبيبى ، وإلهى المتواضع ! .
من مذودك ، مهما تواضع !
تسجد لك الهامات ، وتنسكب أمامك القلوب . .
وتبقى بيت لحم ، حية لا تموت !
ومولودها يملك ، ولا يكون لملكه نهاية !

آمين

عطاء مثالى !

« الحق أقول لكم ، إن هذه الأرملة الفقيرة قد ألقت أكثر . . .
« لأن الجميع من فضلتهم ألقوا ، وأما هذه فمن أعوازها ألقت كل ما عندها ، كل معيشتها » . (مرقس ١٢ – ٤٤)

وقف صاحب الهيكل ينظر بعين فاحصة ، إلى القرابين تلقى فى الخزانة . .
رأى كثيرين يلقون ذهباً ونحاساً وقطعاً كثيرة ، فلم يحفل بأمرهم كثيراً . . .

وفى الصف الأخير . . آخر الكل ، فى ذيل القائمة . .
عبرت امرأة هزيلة شاحبة ، مثل قصبة مرضوضة تحركها الريح !
وفى خطوات متعثرة ، منكسرة الجناح ، وبيدين مرتعشتين نحيلتين . .
ألقت فى الخزانة شيئاً ، قدراً من العطاء حقيراً ، فلسين قيمتهما ربع !
ولكن الفلسين المتواضعين ، وصاحبتهما الأرملة ، قد

نودى بأمرهما فى العالم أجمع !
تذكاراً لما فى الإنسانية من فضائل ، ومثالا رقيقاً عن العطاء المسيحى الخالد . . .
لمسة مباركة من النعمة والكمال ، فى عمل متواضع . .
خلده المسيح للأرملة المجهولة . . . ، خلود الإنجيل المقدس . . .
جاعلا منه أساساً واقعياً للصدقة ، كما وعظها للجموع على الجبل .

رأت عيناه الفاحصتان الفلسين والأرملة ، فشبعت نفسه . .
دخل السرور إلى قلبه الكبير ، وارتسم على وجهه الابتسام .
عطاء مثالى فى كميته ، وفى غايته !
مثالى فى كيفيته ، وفى نهايته !

* * *

فهو مثالى فى كميته . . وستقول مع القائلين إنهما فلسان !
ولكن المسيح قال « إنهما معيشتها كلها » !
هذه امرأة مهجورة ، أرملة ، بلا رجاء ، بلا عائل أو معين . .
لا تقتنى ، ولا تجمع فى موائد الصيارفة . .
لا تتثقل بالتخمة ، ولا تتنعم فى الأرجوان . .
لا تفكر فى الرصيد ، وما يحمله الغد المجهول .

إن الفلسين هما معيشتها فى ذلك اليوم! إنها أعوازها ووفور فقرها !

فمن من الموسرين . . ومن متوسطى الحال ، أعطى مثلما أعطت ؟

ليس بينهم أو بيننا . . من يعطى أكثر من عُشر أمواله دفعة واحدة . .

إلا ويقال عنه إنه أسرف فى العطاء إسرافاً ، يكال له المدح من أجله ! !

أما هذه فألقت كل معيشتها ، بدون قيد أو شرط .

ألقتها بسرور ورضا ، ليس عن اضطرار ، بل بالقبول والاختيار الكامل .

فقياس المسيح النسبى ، جاء فى صفها تماماً « ألقت أكثر منهم جميعاً » . .

من فقرها المعوز ، فاض وفور غناها العميق ، لينسكب على الملايين الذين طالعوا قصتها ، وسمعوا عبارات تطويب المسيح إياها . .

والعطاء مثالى فى غايته . .

فإنه يوجد قوم يعطون ليأخذوا . .

وأسباب العطاء كثيرة ، قد يكون فيها ما هو نبيل ، وما هو غير نبيل .

ولكن هذه أعطت بسخاء كل معيشتها ، لأجل الفقراء . . وهى أفقرهم ! !

إنها تعطى لأجل الأرملة واليتيم ، لأنها تحس إحساساً عميقاً بالترمل واليتم ، وفقدان الأعزاء والمعينين . .

وتجزل بجهد ، للفقير والمسكين ، والجائع والعارى . .

والفقراء يمتلكون حاسة العطف والإدراك الكامل ، نحو الفقير والمكروب !

إنها حساسية مشتركة مرهفة ، لا يحسها حقاً إلا الذين عانوا معنى الفقر والعوز ، واليأس والترمل . .

انظروا جيداً . . أما اختار الله فقراء العالم أغنياء فى الإيمان ؟ أغنياء فى العطف والحنان !

قد يعطى واحد أحياناً فى خزائن العطاء ، وإنما من « مال الظلم » ، فيعود لأصحابه ، الذين حرموا منه .

إلى المظلومين ، من أمثال لعازر المنبوذ على أبواب الغنى . . الصارخين للسماء ، ليلا ونهاراً . .

أما هذه الأرملة ، فأعطت من مال المعيشة الشريف الطاهر .
وهبته بالسرور العميق ، للذين يعانون نفس آلام هذه الصدّيقة الفيلسوفة !

. . .

والعطاء مثالى فى كيفيته ! !
فهى تقف آخر الصف الطويل ، فى تواضع ، مجهولة من الناس ومعروفة لدى الله .
إنها لا تريد مجداً من الناس ، وترفض الشكر من أحد . .
تنكر ذاتها واسمها وشخصها ، ولا تعرف اليمين ما تفعله بيسارها !

. . .

والعطاء مثالى فى نهايته !
إنها تؤمن بالمجازاة ، فهل آمن الآخرون بالمجازاة ؟
إنهم يعطون فينالون ، يدفعون فيأخذون . .
هذا يأخذ المجد من الناس ، وذاك يكسب التحية الأولى ، والمتكأ الأول ، والاسم الأول !
إنهم يستوفون أجرهم . . هنا !
يعطون على سبيل دين ، ليستردوه . .
وإذا كان العطاء ديناً فليس بعده نعمة ، وحيث لا توجد نعمة

فليست هناك مجازاة !

هى آمنت وتؤمن بالمجازاة . .
تؤمن بالكيل الفائض المهزوز ، وبالكنز السماوى . .
الميراث الذى لا يضمحل ، حيث لا ينقب اللصوص ، ولا يأتى السوس والصدأ والفساد . . .
تؤمن بكأس الماء البارد ، وكسرة الخبز الجافة ، وكل عمل الخير فى اسمه ، والوعد الحق .
إن أجركم عظيم فى السموات . .
أما هنا — فليست مجازاة !

قد يقول الناس فيكم حسناً فتخسرون الجعالة العليا . .
احذروا الاهتمام بمجازاة بشرية ، تدخل الغرور فى القلب . .
واذكروا القول العجيب « أبوكم الذى يرى فى الخفاء ، هو يجزيكم علانية » . .
مثلما جازى هذه الأرملة الحكيمة ، نعم الجزاء .

آمين

تلميذ الصليب

« من أراد أن يأتى ورائى ، فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعنى »
(مرقس ٨ – ٣٤)

إعلان التلمذة الصحيحة الصريحة .

حروف كبيرة المعنى ، بالغة الأثر ، لمن أرادوا أن يصيروا تلاميذه وأتباعه .

وهى ما زالت على قوتها وفاعليتها الأولى ، فى النفوس التى تتعلق به . .

كما كانت تماماً ، يوم ألقاها على مسامعهم قديماً !

كل شئ فى العالم يتغير ، إلا عباراته . .

لم يسقط حرف واحد منها ، حتى هذه الساعة . .

إن الأسماء المسيحية ، لا تجدى أصحابها ! .

والمسيحية ، ليست فكرة بيولوجية وراثية !

فالتلمذة تحتاج إلى شروط واجبة ، لا بد من توفرها لتصبح مسيحيتنا إيجابية ، حية عاملة . .

ويسوع يعلن إعلاناً داوياً ، إن من أراد أن يسير وراءه. .

فلينكر نفسه ويحمل الصليب ، ثم يسير !

وليس بأقل من هذه ، تكونون تلاميذى !

إن كنت ستتبعه ، لأنه صانع آيات وخيرات كثيرة !

إن كنت ستتبعه ، لتأخذ منه عطايا وهبات . .

فهذا أضعف الإيمان ، فيه احتمال الفشل كبير .

ومن تبعوه قديماً ، أكلوا من الخبز والسمكات وشبعوا . .

ثم لم يعودوا يمشون وراءه ، لأن كلامه صعب ، ووصاياه كثيرة !

وبعد الصليب لم يبق وراءه من الجماهير التى تبعته فى أيامه الأولى . .

سوى مائة وعشرين اسماً فى العلية !

أولئك كانوا بالحقيقة تلاميذه ، تلاميذ الصليب !

* * *

لينكر التلميذ نفسه أولا ! فليس التلميذ بأفضل من سيده ومعلمه . .

تعلم أيها العزيز كيف تنكر ذاتك ، وتهلكها لأجله !

تعلم منه ، ابن الله الحبيب ، الابن الوحيد . .

يترك المجد الأسنى ، والنور الذى لا يدنى منه . .

يلبس جسد التواضع ، صائراً فى شبه الناس . .
آخذا صورة العبد ، قابلا عطايا البشر ومساكن المتمردين ..
وليس له ، أين يسند رأسه المتعبة !

فماذا أنت فاعل بنفسك — لأجله ؟
هل تستطيع أن تنكر ذاتك بعض الشئ من أجله والإنجيل ؟
هل تستطيع أن تضع أموالك تحت قدميه ؟
وتتخلى عن كرامتك ، وغرورك ، وعلمك ، وذكائك .. لأجله!
إنه يريدك أن تقول مع الرسول أن لستم لأنفسكم ، بل للذى مات لأجلكم وقام !

هل تحمل الصليب خلفه ؟
هذه هى المرة الأولى التى نطق فيها يسوع بكلمة الصليب ، جهاراً بين جمهور التلاميذ . .
ولا شك أنهم أصيبوا بالذهول والمرارة والدهشة ، وهم يسمعون عبارة الصليب على شفتيه !
فى تلك الأيام ، كان الصليب شيئاً فظيعاً . .
بالنسبة لليهودى لعنة ، وبالنسبة للرومانى عاراً للازدراء .
ولكنه قالها صراحة ، إن تلاميذى بالحق تلاميذ الصليب !

أيها العزيز : كان الصليب بالنسبة إليه كل شئ . .
إكليله وعرشه !
كرسى مجده ورئاسته !
عاره وهوانه ، بل فخره وجلاله !
أعظم علامة فى التاريخ ، وأمجد خدمة فى الوجود !

فماذا أنت فاعل بالصليب فى حياتك ، أيها التلميذ الصغير ؟
إنه ضرورة موضوعة لأتباعه ، رمز للمجاهدة الخُلقية وآلام الأيام . .
موضوع على كتفيك ، لتحمله بالرضا والطاعة والقبول . .
وحينما يبدو ثقيل الحمل ، يتقدم ليحمله عنك — إلى جوارك !
مثلما تقاسم سمعان القيراونى الصليب ، مع الرب !

° ° °

والصليب نير ثقيل ، قرعتك فى الخدمة . .
هو يعدّه لك ، كما يعد لك الأكليل الأخير . .
وكلما ازدادت ضيقتك ، ثقل مجدك !
فلا تخر أو تحتج أو تتراجع . .
بل تعلم الطاعة كجندى صالح ، لترضى من جنّدك . .
فى وثق وشدائد ، فى ضيقات وقتية أو طويلة . .

فى مرض ، فى عوز ، فى اضطهاد وتعيير . .
فى وحدة قاسية ، فى فقدان الأحباء . .
فى هذه جميعها — احمل صليبك وامش !

ثم اتبعه . . خطوة خطوة ، فى الطريق . . إلى حياة الأبد !
تجرّح الأحجار أقدامك المتعبة ، المبشرة بالسلام . .
تجوز المياه إلى نفسك الرقيقة ، تسقط على الأرض ، لتنهض وتقوم . .
هى السياحة الشاقة الطويلة . . أتبعك يا يسوع حيثما تمضى .
فإلى أين نذهب ؟ كلام الحياة الأبدية عندك !

تعال واتبعنى !
أرقّ دعوة ، وأعمق استجابة . .
ما زال صداها الأول يُسمع إلى هذه الساعة ، أكثر وضوحاً ، وأرخم فى نبراته . .
من دعوات كثيرة صاخبة ، إلى الانحلال والتحرر واللذات العابرة !
وما كان لى ربحاً ، فهذا حسبته لأجل المسيح خسارة .
(فيلبى ٣ — ٧) .

أما الذين تبعوه — فقد التصقت نفوسهم به . .
وتعلقوا بأهداب ثوبه ، إلى النفس الأخير . .
لا تنظر إلى الوراء ، بل انس ما هو وراء !
لا تعد تذكر سدوم وعمورة ، بل اهرب لحياتك من كأس الغضب .
وهو يهبْ لك السلام العميق ، واختبار راحة نفسية دائمة فيحيل الألم بأنامله ، إلى أنشودة جديدة !
كما فعل ليلة البستان ، وفوق خشبة الصليب !

آمين

الراعى الصالح

« والخراف تتبعه ، لأنها تعرف صوته » (يوحنا ١٠ – ٤)

هذه الآيات ، تفيض رقة وعذوبة . .
من أرق ما تكلمته شفتاه الطاهرتان !
أنشودة الراعى الصالح ، وعذوبة الرعاية المسيحية !
الخراف الضالة ، جاء إليها راعى الخراف العظيم !
ليقودها من حظيرة الناموس ، إلى مراعى النعمة . .
ومن عبودية الحرف ، إلى حرية الروح . .
وفتح له البواب ، ليدخل . .

من هو البواب الساهر الأمين ؟
الذى يميز بين الراعى الحقيقى ، وبين السارقين والأجراء !
قد أغلق ، فى وجه الكتبة والكهنة والفريسيين المرائين . .
ولكنه عرف الراعى الصالح ، ورأى روح الرعاية نازلا عليه
من السماء ، مثل حمامة بيضاء !
ففتح باب الحظيرة وأوقد سراجه ، ومنطق حقويه . .

إنه يوحنا المعمدان ، البواب الأمين !
الملاك الحارس ، والصوت الصارخ . .
يفتح أبواب البر بسرور ، ليدخل ملك المجد . .
قدوس الله ، ورئيس الرعاة العظيم !

جاء يسوع أولا ، إلى خاصته . .
يدعو خرافه بأسمائها ، نطق بها رغم أنها لم تعرفه !
بطرس ومن معه ، من السفينة . .
نثنائيل من تحت التينة ، ومتى من مكان الجباية . .
شاول من تحت أقدام غمالائيل الفريسى ، وزكا من على
الجميزة . .
السامرية من البئر ، واللص اليمين من الصليب !

عرفها الراعى ، ميّزها ، ودعاها وأخرجها . .
أسماء مكتوبة فى السموات ، وقطيع موهوبٌ الملكوت . .
أخرجها من الحظيرة العتيقة ، التى بناموس موسى . .
وذهب أمامها فى طريق جديدة ، رسمها بنفسه للعهد الجديد . .
بالنعمة ، والحق ، والمحبة الفائقة !
ليس غريباً أو أجيراً ، لم يتخل عنها لحظة . .

بل مكانه الدائم فى الرعاية ، أمامها . . والخراف تعرف صوته وتتبعه !

والذين تبعوه ، هم كنيسته . .
كنيسة الأبكار والمفديين ، المحبوبين القديسين . .
نحن نتبعه فى الطريق ، إلى الحياة الأفضل . .
سائرين فى خطواته ، وآثار أقدامه المباركة تهدينا . .
لا تتبدد رعيته أو تضيع ، فإن آثاره فى الأرض واضحة ، إلى المراعى الخضراء .

هو يقودك لمياه الراحة ، وموارد النعمة . .
يحيد عن الشر ، والمسالك غير المستقيمة . .
يحميك فى فخ الصياد ، ويفديك من الحفرة . .
يهديك إلى سبل البر .
فسرْ وراءه حيثما يمضى !
رئيس كهنة عظيم ، يرثى لرعيته ، أميناً ورحيما فيما لله . .

لا تخف أيها القطيع الصغير !
إنما اجعله أمامك ، فى كل لحظة من العمر . .
فهو يقف حائلا بين الآلام والشدائد ، وبينك . .

وإن ضل واحد من قطيعه ، عن طاعته ، فإنه يترضض وتجرّح الأشواك قدميه . . إلى أن يجده راعيه الصالح ، فيقبله فرحاً ، ويحمله على منكبيه ويعود .

والخراف تسمع صوته ، صوت الوداعة والرقة . .
يقول اتبعنى ، أجمل دعوة سمعت فى الأرض . .
لا يدعو للقوة أو العنف ، كما ينادى طغاة العالم . .
وخدامه ، لا يجاهدون بالسيف من أجله !

لا يرتفع بالمتعة ، وإشباع الحواس ، وسرور مصطنع . .
لكنه الصوت الهادئ والهمس الرقيق ، أن تتبعه لملكوته .
فأصغ للهمس الوديع الهادئ . .
بواحدة يتكلم ، وباثنتين لا يلاحظ الإنسان !
فى حلم وفى يقظة ، فى رؤيا الليل . . أنت تسمعه . .
إننى أترك كل شئ ، وأتبعك ، يا مسيحى الصالح .

وهو يحمى خرافه ، حماية أكيدة . .
لا يخطفها أحد من يده ، والذين أعطيهم من الآب ، لم يضيع منهم أحداً . .
وكما حمى تلاميذه فى البستان ، فإن شعرة من رءوسكم لا تهلك !

آمنوا بهذا الوعد وصدّقوه ، لأن الذى وعد هو أمين .
قد تضل شارداً ، وتختبر أعمالا رديئة . .
قد تقتل وتيأس ، وتنطرح مماتاً طول النهار !
ولكنك فى النهاية ، تشعر أنك فى حماية أمينة . .
وتتكىء على صدر رحيم ، فإنه لا ينعس حافظك وراعيك .

وها هى أجمل صفاته ، إنه بذل حياته عن خرافه !
ختم أمانته بدمه ، وتذوق الموت بالجسد ، لأجل كل واحد ..
من أجل الشيخ الطاعن ، والطفل الرضيع . .
من أجل كل دم من الناس ، الأحرار والعبيد . .
من أجل الجميع قد بذل ذاته ، برضا وسرور !
هو سفك نفسه ، من أجل شعب الله . .
كى يرى نسلا ، تطول أيامه . .
ويكثر عدده كرمل البحر ، ونجوم السماء .
لذلك مسحك الله بزيت الابتهاج ، كاهناً وراعياً ومدبّراً أبدياً .
لك المجد ، إلى دهر الداهرين .

آمين

الريح المضادة !

« ورآهم معذبين فى الجذف ، لأن الريح كانت ضدهم » (مرقس ٦ – ٤٨)
« أنا هو ، لا تخافوا » (مرقس ٦ – ٥٠)

السفينة وحدها فى وسط المياه . . .
والوقت مساء ، وظلمة . .
والريح كانت ضدهم !

صورة ترسمها ريشة الإنجيلى ، الروحية المعبرة . .
لم تنزعها السنوات الطويلة من الأذهان التى اختبرتها ، فى أيام تجسد الرب الأولى . . .
شهادة عيان ، من الذين كانوا معاينين الكلمة منذ البداية .

كان الرب يسوع قد شعر أن القلوب غليظة ، والرقاب صلبة ، والأفكار غبية ، والطبيعة ما زالت بشرية أرضية !
لأنهم لم يفهموا بالأرغفة والسمكتين (مرقس ٦ – ٥٢) ،
سوى أنهم جلسوا للأكل والشرب ! !
أكلوا من الخبز وشبعوا . . (يوحنا ٦ – ٢٦)

وبقى الإيمان ضعيفاً ، والروح خائراً !

وخدمة يسوع قصد منها أولا وأخيراً ، أن تتجه القلوب والحواس إليه . . .

ليستأسر كل عاطفة إلى طاعته ، وكل عين إلى معرفته ، وكل لسان إلى اسمه .

فالمعجزة وسيلتها الخبز البائد . . وغايتها الخبز السماوى !

أما الجموع والتلاميذ فقد أكلوا من الخبز وشبعوا . .

وبقيت القلوب فارغة من الإيمان العميق ، والنفوس جائعة إلى الخبز الحقيقى . .

فأدخلهم السفينة ، وأمرهم أن يجذّفوا فى وسط المياه .

وفى قلبه تعليم جديد ، واختبار آخر أكثر اقتداراً ، وأعمق أثراً من الخبزات والسمكتين !

يرفعهم من العيان إلى الإيمان . .

من الخبز الأرضى إلى خبز السماء ، ومن ضعف الحواس إلى طاعة التسليم واليقين . . .

سلبهم أفكارهم وقوتهم ، وجردهم من ذواتهم ، ليظهر لهم ذاته . . وليملأ باسمه وسلطانه ونوره ، كل فراغ فى سفينتهم وفى أفكارهم

وقلوبهم !

وشقت سفينة الصيد طريقها ، فى مياه البحيرة . .

وهم قد اختبروا مياهها وأعماقها ، طوال السنوات الكثيرة ، فى ممارسة حرفة الصيد .

وفجأة تغير كل شئ !

هبت ريح صاخبة ، وأعصار ردىء مفاجئ . .

وتعذبت السفينة الصغيرة فى وسط أمواج متلاحقة . .

وكافحت السواعد لأجل الحياة ، ببسالة وقوة . .

جذفوا بعزم وشدة ، كى لاينال منهم الظلام ، أو الأمواج العاتية .

وفى النهاية خارت القوى البشرية ، وأنهكت العزائم المصممة . .

وصاروا معذبين من الجذف اليائس بلا أمل . .

« فإن الريح كانت ضدهم » ! (مرقس ٦ — ٤٨)

* * *

آه أيها العزيز ! إنها صورة الحياة واختباراتها . .

صورة الإشفاق !

هذه السفينة الصغيرة هى نفسك ، هى حياتك .
واختبارات تلك الليلة الصعبة ، هى اختباراتك . .
هى تجربتك . . قصتك وذاتك !
فالعالم وما فيه ، بحر كبير ومحيط واسع . .
وأنت صياد صغير متواضع ، تقود السفينة فى المياه . .
مسئول عن سياحة النفس ، فى محيط العالم !

أيها العزيز المعذب ، ذو الحمل الثقيل . .
كل القوى تعمل ضدك . . وكل العوامل المواتية تتخلى عنك !
الأيام الشريرة ، والساعات السوداء الحالكة . .
تبلل وجهك بدموعك ، وأنت ساهر . .
تصيّر رأسك مياها ، وعيونك ينابيع . .
تذبل أجفانك المسهدة ، من التعب والأرق والحزن !
من منا لم يواجه هذا الاختبار فى حياته ؟

إن سحائب ليل مظلم ، تجتاز حياة الملايين ولا ترحم !
إن ظن أحد أنه بعيد عنها فى أمان ، فليدرك أنها ضرورة
موضوعة . .
فالتجارب حتما مقبلة ، إقبال المخاض للمرأة الحبلى .

وحينما يقولون سلام سلام ، يأكلون ويشربون ويلعبون . .
تأتى الساعة بغتة ، كسارق فى الليل !

وتبدأ العاصفة فى أسوأ الظروف ، فالمياه عاتية . .
ثم تأخذ الريح أيضاً تعمل ضدك ، بعد أن كانت معك . .
فماذا أنت فاعل بهذا الاختبار المرير ، أن تشعر والحسرة فى
أعماقك بهذا الإحساس « أن الريح ضدك » ؟

شعر موسى بهذا الشعور ، وهو هارب من وجه فرعون . .
وشعر به يوسف ، وهو طريح السجن والهوان . .
وشعر به إيليا حينما صارح الله : قتلوا أنبياءك ، وهدموا مذابحك
وبقيت أنا وحدى وهم يطلبون نفسى !
شعر به أرميا ، وهو يرى الخراب فوق عاصمته المقدسة .
لا يستطيع أن يمنعه . .
وشعر به أيوب ، وهو يرى المصائب تنصب على كاهله بلا
هوادة . .
مولوداً لهذا ، كما أن الجوارح لارتفاع الجناح ! (أيوب ٥ — ٧) .
وشعر به الرب يسوع ، حينما واجه ساعة الظلمة . .
وشرب الكأس وحيداً ، وسط الأردياء والكذبة وفاعلى الشر .

يسقط فى يدك ، وتطرق فى استسلام . .

ألا تشعر كثيراً ، أن الريح ضدك ؟

ولماذا تسمح يارب ، أن تعذب السفينة بالريح المضادة والزوبعة العكسية ؟

هم تعبوا الليل كله مجذفين بالسواعد ، إلى أن خاروا من التعب واليأس . .

فافعل ما يحلو لك ، استخدم كل الإمكانيات البشرية .

ذكاؤك ومهارتك وخبرتك ، الحكمة والمشورة من ذوى المشورة .. والقوة من ساعديك ، وسواعد الآخرين . .

وفى النهاية — تصرخ من اليأس والفزع ، إذ تدنو السفينة من الغرق . .

وتكتسح الأمواج والمياه نفسك الرقيقة ، وتبقى الريح ضدك لا تتحول . .

باطل الأباطيل ! تعب البنائين وسهر الحراس ، وجذف الصيادين . .

الآن عرفت مقاصد المسيح الأساسية !

ينزع عنك حب الذات ، لتحبه هو فتحيا . .

وينزع عنك أنانيتك وغرورك ، لتؤمن به فتخلص ..

يسمح أن يموت لعازر ، لترى فيه القيامة والحياة !

ويسمح أن يولد رجل أعمى ، لترى فيه نور العالم !

ويسمح أن يتشرد القطيع الصغير ، ليعرفه « الراعى الصالح ».

كل هذه الزوابع العاصفة ، والآلام التى تجرى على الأخوة فى العالم أجمع ، تعزل النفس البشرية عن كل الإمكانيات .. إلى أن تجثو أمامه ، مثلما سقط التلاميذ فى السفينة على وجوههم . .

فتقول فى تواضع وطاعة وإيمان رائع ، هذا القول المشهور ... صلاة صياد متواضع ، طوال أربعين عاماً . .

« يارب سفينتى صغيرة — وبحرك كبير !

فامكث معى يا سيدى » .

وهذا ما حدث للسفينة الصغيرة ، تلك الليلة . .

فى الهزيع الرابع الأخير ، عبر مُمجّداً على وجه المياه !

نهاية حتمية للانتظار ، حينما تعلن الرؤيا . .

فالمحبة تستجيب أخيراً .

إنه يرى كل شئ ، وعيناه تنظران آلامك وشدتك . .

لا ينعس ولا ينام ، يمهل ولا يهمل ، يتأنى ولا ينسى . .
وفى الوقت المقبول تعبر أذياله ، وتبدو صورته ، ورسم جوهره المجيد .

يمسك دموعه ، حتى يضرب ملاك الموت حبيبه لعازر ..
ويمسك دموعه ، حتى تمضى ثمانية وثلاثون عاماً على الرجل المطروح إلى جوار البركة !
يمسك دموعه على الشيخ ، الذى ولد أعمى من بطن أمه ! .
ويمسك دموعه ، حتى يمضى يوسف فى عبوديته أعواماً طويلة..
ويمسك نفسه ، حتى الهزيع الرابع من الليل . .
ثم يعبر على وجه المياه !

قد يتقوس الظهر ، ويشيب الشعر . .
وتظلم العينان ، ويضعف القلب ، ويذبل العمر . .
ثق فقط ، وانتظر الله كحسب إيمانك .
سيعبر ، حتى وأنت على حافة القبر ، فيخلصك خلاصاً أبدياً ..
مثلما عبر على اللص اليمين ، وهو فى أنفاسه الأخيرة !

وفى عبوره يحمل الخيرات العديدة ، الزمنية والأبدية ..
أكثر كثيراً مما نطلب ، أو نفتكر ! (أفسس ٣ — ٢٠)

يقود السفينة الغارقة إلى ميناء السلام ،
فتهدأ الرياح ، وتبكم الأمواج . .
وتنتقل من غضب الإنسان ، إلى راحة الله !
ثقوا ، أنا هو ، معكم كل الأيام .
ابن الله الحى ، كلمة الحياة ، مشتهى الأمم ، صانع الأزمنة ! .
القيامة والحياة ، الطريق ، النور ، الراعى . .
ملك الملوك ، وليس لملكه نهاية !

وعند بر السلامة ، سجدوا له . .
كما نسجد له نحن أيضاً ، ونقبّل قدميه . .
هنا وسط آلام الزمان الحاضر ، وهناك فى الموضع الذى هرب منه الحزن والدموع .
فمن اليوم — كفوا عن الإنسان الذى فى أنفه نسمة !
تخلّ عن الذراع البشرية ، عن الكبرياء ، والثقة الكاذبة . .
أما الذين يتألمون بحسب مشيئة الله . .
فليستودعوا ذواتهم كما لخالق أمين فى عمل الخير (١ بطرس ٤ — ١٩) .

آمين

الخادم الأمين

« ينبغى أن ذاك يزيد ، وأنى أنا أنقص » (يوحنا ٣ — ٣٠)

لم يمدح المسيح إنساناً ، مثلما مدح المعمدان . .
ولم يطوّب خادماً ، بالقدر الذى ناله المعمدان . .
أعظم المولودين من النساء ! (لوقا ٧ — ٢٨)
أعظم من نبى ! (لوقا ٧ — ٢٦)
ملاك ، صوت صارخ ، سراج توقد !
يبشر الملاك أباه ، فيقول فيه . . (لوقا ١ : ١٥ — ١٧)
عظيم هو أمام الرب ، وفيه تسكن روح إيليا وقوّته !

ومع كل هذا المجد ، والامتياز العظيم . .
وقف المعمدان ، منادياً بصوته الصارخ . .
ينبغى أن أنقص وأتضع ، وذاك يزيد ويرتفع !
لست أهلا أن أنحنى ، وأحلّ سيور حذائه !

أنا أرضىّ ، وذاك سماوى . .

أنا معمودية المياه ، وذاك معموديته ألسنة نار !
لست النبى ، لست إيليا ، ولا المسيح . .
بل صوت صارخ فى بريتى ، أمام حمل الله رافع خطية العالم .

إننى أنقص ، وهذا يزيد . .
أتواضع ليرتفع ، وأفتقر ليستغنى !
سراجى يتلاشى ويخبو ، ليضيء نوره وإشراقه . .
صوتى يخفت ويختفى ، ليسمع صوته هو إلى أقاصى المسكونة !

هذا ختم الخادم المخلص ، الخادم الحقيقى لشعب الله !
يكرز باسمه رباً ومخلصاً ، وبنفسه عبداً وخادماً . .
فكل كلمة فى الأرض يزول خادمها ، ويبقى ربها وملكها . .

يوحنا المعمدان قال إنه ينقص . .
وبولس يقول « لست مستحقاً أن أدعى رسولا » !
(١ — كورنثوس ١٥ — ٩) .
« الخطاة ، الذين أولهم أنا » ! (١ تيموثاوس ١ — ١٥) .
« سقط التلاميذ » ! (١ كورنثوس ١٥ — ٨)

فنحن إذن آنية خزفية . .
وأرغفة شعير متواضعة ، فى خدمة رب المجد !

وكلما تعمّق الخادم الأمين ، فى حياة الإيمان . .
صغرت نفسه فى عينيه ، وتضاءلت كبرياؤه . .
يهلك ذاته ، من أجل الله . .
وينكر نفسه ، من أجله والإنجيل (مرقس ٨ — ٣٥) .

أما الخادم الزائف ، أو الحكيم الجاهل !
فيبرر ذاته ، ويشبع غروره الباطل . .
يظن أنه شئ ! !
يقول مع الفريسى « أنا أصوم وأصلى وأعشر كل أموالى . .
ولست مثل سائر الناس البطالين » (لوقا ١٨ — ١١)
يطلب التحية فى المجامع ، والمتكآت الأولى . .
يشبع نفسه بمجد الناس ، وثنائهم . .
فيتعطل إنجيل المسيح !
أما نحن ، فلنا فكر المسيح .

آمين

إفلاس الضمير !

« مضى حزيناً ، لأنه كان ذا أموال كثيرة » (متى ١٩ — ٢٢)

لقاء المسيح مع الشاب الغنى الطيب ، والحوار الذى دار بينهما ، ثم نهاية المشهد المحزنة !
يمثل نقطة فاصلة فى حياة الإيمان المسيحى ، مشكلة معقدة واستسفار محيرّ ، ومجادلة ليست هينة .
فالتلاميذ بهتوا مذعورين ، مما قاله يسوع عن ذلك الشاب وأمثاله من ذوى الأموال . .
كانوا قريبين من ملكوته ، ثم مضوا عنه آسفين .

هذا الشاب الرقيق يحفظ الوصايا منذ حداثته ، أو هكذا ظن فى نفسه !
يقرأ الناموس ويعمل به ، بحروفه ووصاياه ، على قدر ما تسمح به إرادته البشرية . .
يعرف تاريخ آبائه وأجداده ، وتعلم عند أرجل المعلمين والكهنة . .
لا يقتل ، لا يسرق ، لا يزنى ، ولا يشهد بالزور .

يعطى العشور ، ويحفظ السبت ، ويقدم الذبائح .

فمن جهة الناموس بحسب الظاهر ، هو بلا عيب !
أفضل غيرةً من كثيرين من أقرانه ، ومشهود له منذ حداثته .
إذا سمعت كل هذا من شفتيه ، لا تملك إلا أن تعطف عليه ، وتحبه . .
وإذا رأيته وهو يجثو على ركبتيه أمام المسيح ، متسائلا عن ملكوت الله . .
لا تملك شفقتك وانجذابك نحوه !

ثم تعتريك الدهشة مع التلاميذ ، كل الدهشة !
أيها الشاب : أنت قريب من ملكوتى ، ولكن إلى الآن لم تبصره ولا عرفته ! تعوزك خطوة واحدة حاسمة . . (مرقس ١٠ — ٢١)
خطوة واحدة تخطوها من أجلى ، لتجتاز عتبات ملكوتى !
ينبغى أن يزيد برّك على الكتبة والفريسيين . . (متى ٥ — ٢٠)
بع كل أموالك ، وزع على المساكين ، وتعال شاركنى إنجيلى وارفع صليبى !

فاحص القلوب والكلى ، والعالم بكل أفكار القلب ونياته ..

أدرك ما فى أعماق هذا القلب البائس من مأساة !
مأساة ديانة ظاهرية ، وغيرة ليست حسب المعرفة ، خالية من قوة الانفعال الروحى . .
هو حفظها منذ حداثته ، أى وصايا الناموس كله . .
إلا واحدة . . واحدة عظمى !
« الرب إلهك رب واحد ، لا يكن لك آلهة أخرى أمامى » (تثنية ٥ — ٧)
« تحبه من كل قلبك وقوتك وفكرك . » (تثنية ٦ — ٥)

هذه الوصية الواحدة الأولى ، كسرها ولم يحفظها . .
فلو كان حفظها ، لما جاء للمسيح جاثياً على ركبتيه ! !
ولو كان سعيداً بما حفظه ، لما جاء للمسيح يسأله عن الرجاء فى الملكوت .
لم يكن سلام الملكوت إذن فى قلبه ، بل كان فى قلبه بره الذاتى . .
وخلا من البر العلوى الذى من الله ، حسب الإيمان !
فأعماله تحسب له على سبيل دين ، ولكن ليست بعد فى قلبه نعمة !

كسر الوصية الأولى ، ومن أخطأ فى واحدة صار مخطئاً فى الكل .

إن فى القلب آلهة أخرى أمامى . .

فنى وسط وصاياك أيها البار فى عينى نفسك ، فى وسطها حرام ! وثن ضخم ، وصنم آخر تعبده . .

وتحاول أن تخفى الصنم الكبير ، المستور فى قلبك . . .

تقول إنى أصوم ، وأصلى وأعشّر ، ولست مثل سائر الناس البطالين .

ولكنك تعيس ، لا يسكنك سلام التبرير بالإيمان .

لا تستطيع أن تعبد ربين . . وتسجد لإلهين !

فامتحنه الرب ، ما الذى تستطيع أن تفعله لأجلى ؟

فإنك تفعل كل شئ لأجل ذاتك ، لأجل نفسك . .

ومن أحب شيئاً أكثر منى لا يستحقنى ، ولا يستحق تلمذتى وملكوتى .

هلا تحفظ هذه الوصية الأولى ، التى نسيتها منذ حداثتك !!

أن تحبنى أكثر من أموالك ، من كل قلبك وفكرك وقوتك

أى تحب المساكين فى اسمى ، تحب الصليب والإنجيل

لأجلى . .

وتأتى وتتبعنى ، فأعطيك كنز السماء . .

هو الأفضل ، والمجازاة العظمى المحفوظة فى السمويات .

هذا كان الامتحان القاسى بالنسبة للشاب البائس ، اختيارا فاصلا بين الإلهين !

فاختار الشاب إلهه ، ومضى حزيناً !

وأطرق يسوع حسرة وإشفاقاً . .

ماذا ينتفع الإنسان إذا ربح العالم كله ، وخسر نفسه ؟ ؟

ماذا يعطى الشاب فداء عن نفسه ؟

أمواله ؟ . . وا أسفاه إن الفضة والذهب أشياء تفنى ، لا تفدى النفس .

ولو كان لمثل هذا الشاب بر حقيقى بأعماله ، فلماذا أموت على الصليب ؟

فبناموس الأعمال لن يتبرر كل ذى جسد أمامه ، بل بالإيمان العامل بالمحبة .

* * *

أيها الأعزاء — محبة المال أصل لكل الشرور . .

ضلال عن الإيمان ، وأوجاع كثيرة ، عسير الاتكال عليه . .

عبادة محزنة ، ارتداد مشين عن النعمة والتفكير المسيحى .
وإذا امتلأ قلبك بحديث المادة ، فإن عبوديتك لها تصبح مريرة موجعة .
ستشتهى ولا تملك ، تتعلم القسوة فى القلب ، وبلادة الضمير ، وصلابة الرقبة .

اذكروا جيحزى خادم اليشع النبى ، عاخان بن كرمى ونهايته المشئومة . .
يهوذا الأسخريوطى الذى باع سيده ، لقاء ثلاثين من الفضة !
أذكروا حنانيا وسفيره أمام بطرس !

الاتكال على المال ، يفسد الأخلاق الجيدة .
يتولد عنه الطمع ، عبادة الأوثان ، العين التى لا تشبع !
والانغماس فى الشهوة مثل ذاك الذى « أنفق ماله بعيش مسرف » ثم الخيانة ، والرشوة ، والأنانية ،
تجارب وفخ وشهوات ، تغرق الناس فى العطب والهلاك . .
فمن أين الحروب والخصومات ؟ من أين إفلاس الضمير ؟
من أين فتور المحبة ، وتلاشى الإيمان ؟

أما نحن فلم نعرف المسيح هكذا ، هو قال لا تفتكر فيما

للغد . . وليست حياة الإنسان من أمواله .
فلا تلقوا رجاءكم على غير يقينية المال ، بل على الله الحى الذى يعطى بسخاء ولا يعير .
وإن وجدت فى قلبك ميلا وضعفاً إليه ، فحذار من أن يصير إلهك .
إما أن تصير سيد أموالك ، فتفرّق وتعطى المساكين ، وتكتفى قانعاً . .
أو يصير المال سيدك ، فتمضى بعيداً عن الله ، حزيناً إلى غير عودة . .

اذكروا جيداً كلماته الأسيفة !
تذكروا الجمل وثقب الإبرة ، ملكوت السموات الضائع ، فالخسارة جسيمة ، لا تعوض !
يسوع وحده ، من أجله خسرت كل الأشياء . .
وأحسب كل شىء نفاية ، ليكون لى معه فى الملكوت نصيب .

آمين

غيرة الهيكل

« غيرة بيتك أكلتنى » (يوحنا ٢ – ١٧)

هذه الهياكل والقباب المرتفعة ، هى بيته ومسكنه !
وخيمة الاجتماع القديمة ، ثم هيكل سليمان فيما بعد ، كانا
يعنيان أمراً واحداً جوهرياً للشعب العبرانى . . .
الرب إلهك فى وسطك ! قائم فى هيكله !
وأفخر أيام هذا الشعب كانت مرتبطة بهذا البيت ، وأتعسه
ارتبطت بخرابه وانهياره . .
وفى أيام السبى التعيسة ، كانت قلوبهم تتطلع إليه من بابل
عبر الأميال الكثيرة . .

فكم تحسبونه عاراً مشيناً ، وإهانه بالغة لا تغتفر . .
إذا استحال بيت الصلاة الخاشعة ، إلى بيت تجارة ؟
موائد الطهارة والولائم السمائية ، جعلوها مغارة للصوص ! !
والموضع المقدس ، الذى يعبدون فيه إلههم الواحد ، صارت
تمارس فيه عبادات شريرة .

عبادة المال . . والآلهة الغريبة التى زنوا وراءها ، أيام معاشراتهم
الرديئة للأمم !
يقولون بالشفاه « هيكل الرب . . هيكل الرب » !
وقلوبهم بعيدة عنه ، وذبائحهم مرفوضة . .
فأيديهم المرفوعة إليه رجالا ونساء ، أياد غير طاهرة .

أما قرأتم قوله : « بيتى بيت الصلاة » ؟ (لوقا ١٩ – ٣٦)
أما قرأتم « إن كان أحد يفسد هيكل الله ، فسيفسده الله ،
لأن هيكل الله مقدس . . الذى هو أنتم » ؟ (١ كو ٣ – ١٧)
فأنتم هياكل مقدسة حية ، تُصلّى فى هياكل مصنوعة بأيادى
الناس !
أما قرأتم : « الله روح ، والذين يسجدون له فبالروح والحق
ينبغى أن يسجدوا » ؟ (يوحنا ٤ – ٢٤)
أما قرأتم قط « غيرة بيتك أكلتنى » ؟

وجاء هو فقلب الموائد ، وألقى الأموال الدنسة إلى الأرض . .
أطلق الحمام فى الهواء ، وأمسك السوط ! !
بسلطان وغيرة آكلة . .
بسلطان ابن وحيد ، قد خدم فى بيته !

ولكن أبناء قتلة الأنبياء ، والكهنوت الشرير ، رفضوه فى وسط هيكله . .

فجاءت اللعنه المريعة . . « هوذا بيتكم يترك لكم خراباً». ولا يتركون فيه ، حجراً على حجر لا ينقض .

هو لا يسكن فى بيت أحجار ، مصنوع بأيادى الناس !

فإنك يا أورشليم لم تعرفى ما هو لسلامك ، وزمان افتقادك !

(لوقا ١٩ — ٤٤)

آمين

رائحة الطيب !

« ودهنت قدمى يسوع . . فامتلأ البيت من رائحة الطيب »

(يوحنا ١٢ — ٣)

ليلة عامرة ، قصة العشاء الوداعى . .

وليمة محبة ، رواها البشيرون باهتمام . .

تذكاراً لعمل مجيد ، قامت به امرأة قديسة .

فأدخلت السرور إلى قلب ، كان حزيناً حتى الموت .

أضفت به ابتسامة نبيلة ، على وجه معبّر . .

كانت فى قسماته أوجاع الجسثمانى ، وفى عينيه ظلال الصليب !

كانت المأساة القادمة ، تملأ أنفاسه الرقيقة . .

وظلال الساعة القاتمة ، وسلطان الظلمة ، تطل عليه .

وكانت هناك وليمة محبة ، فى بيت عنيا الصغيرة . .

اعترافاً حسناً بالجميل ، من أجل حبيبه لعازر . .

ويسوع ضيف الشرف !

جلس للعشاء ، مع من تحبهم نفسه ، قبل أن يتألم . .

امتدت أمامه الموائد الخفيضة ، ومتكآتها الطويلة . .
وفى المكان وجوه تعرفه ، وأخرى لا تعرفه !
بطرس الصخرة ، وأندراوس الطيب . .
يوحنا الذى كان يحبه ، ويعقوب أخوه ، « ولدى الرعد » !
نثنائيل الذى لا غش فيه ، سمعان الغيور ، ومتى وتوما . .
وواحد آخر من الاثنى عشر ، رجل سلامته وأمانته !
يهوذا الأسخريوطى ، الذى أسلمه !

وكانت مرثا سيدة المنزل الأولى ، مدبرة فاضلة . .
تشرف وتهتم ، بأمور تلك الوليمة الوداعية !
ولعازر الحبيب . . العائد من كورة الأرواح إلى كورة الأموات!
ثم قديسة هذه الليلة المباركة . . مريم !

* * *

جلست مريم عند قدمىّ المعلم ، فى تواضع . .
اختارت النصيب الصالح ، الذى لن ينتزع منها !
ثم فاجأت الجميع بخدمتها الخالدة .
فتحت قارورة طيب ، كثيرة الثمن . .
سكبتها فوق رأسه ، ودهنت منها قدميه . .
فامتلأ البيت كله ، من رائحته الزكية .

وفى وسط موجة من التساؤل والدهشة ، التى سادت جمهور الوليمة . .
رأى يسوع بالروح ، كل شئ . .
فقال مدافعاً عنها « دعوها تفعل » ،
وستفهمون ما هى فاعلة ، بعد ارتفاعى !
إنها سبقت ، ودهنت بالطيب جسدى ، للتكفين !
وحيثما يكرز بالإنجيل ، ويتعزى الناس اليوم بتذكار آلامه . .
يذكر أيضاً اسم مريم . تذكاراً لعملها المجيد !

والمحبة تعطى أفضل ما لديها .
لم تجد هى ما هو أثمن من زجاجة الطيب ، كثيرة الثمن . .
فاقت اللآلئ ، لأنها صادرة من أعمق المحبة السامية .
فتلك القارورة ، هى قلب مريم !
وهذا الطيب هو نفسها ، وتلك الرائحة الزكية محبتها !

والأعمال العظيمة ، إنما تقاس بروح المحبة السخية . .
أى ما يقدر قلبك أن يعطيه لأجله ، وما يتبقى بعدئذ فيه !
فالحب يعطى أفضل ما عنده ، ولا يبقى لديه شيئاً . .
وزجاجة الطيب . . كانت كل ما تملكه مريم !

مثلما كانت خمسة أرغفة وسمكتان . . كل ما يملكه الصبى الصغير ! .

فأعطه أيها العزيز ، حينما يعبر ، أشهى ما تملك إلى التمام .. القلب الذى له ، والدم النابض بحبه . .
الجسد الفانى بخدمته ، اذهب وأعطه . .
ومن أعوازك قدّم ، لا من فضلاتك !

* * *

ومحبة الله ، تتبرر فى عيون بنيها !
كان هناك همس واحتجاج ، من بعض الفاترين فى الحب..
أن هذا إتلاف للدنانير ، كان يمكن أن ينفع فقراء كثيرين !
ونسمع هذا الكلام كثيراً ، فى هذه الأيام . .
نسمعه ممن لا يحبون ، ممن لا يثقون كثيراً فى الوصية . .
أن تحب الرب إلهك ، من كل قلبك وقوتك ونفسك .

أولئك الفاترون فى المحبة ، يتساءلون بحكمتهم الخاصة ..
ما الفائدة من بناء الكنائس والهياكل ؟
وما جدوى ذلك النقش للإبداع والتصوير !
وما المنفعة من هذه الشموع والهبات ، فى الصلوات المستمرة ؟

وربما قالوا . . ليس الله محتاجاً لخدماتنا ، إنما الناس المحتاجون !

أما المسيح فلم يسمِّ هذا ، إتلافاً !
بل حباً عميقاً خالصاً ، من مريم . .
إنك تستطيع أن تحب قريبك كنفسك ، كل وقت . .
ولكن لا تنس محبتك لله أولا !

فكل الإحسانات العظيمة للآخرين ، إنما تنبعث من محبتنا إياه .
وروح المحبة ، تسبق العمل نفسه .
هوذا زكا العشار ، لم يبد استعداداً لإعطاء نصف أمواله للمساكين إلا بعد ما قام بعمل من أعمال المحبة لله . .
أن صعد لأعلى الجميزة ، ليرى يسوع !
وبعد ما دعاه ، ليمكث فى بيته .

علموا إذن أولادكم ، تعليم تعب المحبة وعملها . .
خدمات محبته ، وكنيسته ، طوال العمر .
فمن هذه وحدها ، تنبع محبة القريب والفقير والمسكين !

علموا أولادكم ، أن يضيئوا الشموع فى الكنيسة . .

أن يتقنوا الترتيل ، ويوقدوا القناديل . .
أن يقتنوا الصور المسيحية ، ويحبوا مدارس الأحد .
فبهذا يتفرسون جيداً فى هيكل الرب ، ويعطون أطيب الطيب!

* * *

وعمل المحبة تدوم ذكراه ، إلى الأبد .
بخور طيب ، صاعد إلى عرش الله . .
وصلاة شكر لا تموت ألفاظها ، ولا تنسى !

لم يعرف عمل مريم ، وقيمته الدفينة ، سوى يسوع . .
ولكن الأجيال بعده ، أخبرت به حتى الآن .
والإنجيل الذى نحيا فيه ، ذكر وليمة بيت عنيا ، ومريم . .
فنادى محفل القديسين باسمها ، وتعب محبتها . .
تذكاراً حياً على مدى الأيام ، فى قلوب المؤمنين .

أما الذين لا يحبون ، فهاكم مثل أحدهم . .
كان فى الوليمة ، واسمه يهوذا !
لم يكن فى قلبه حب ، بل حسد وخيانة . .
وأعمال الخير والمحبة ، على رقتها . .
تُقسّى القلب الفارغ ، فيزداد ظلمة وصلابة .

قال عن طيب مريم ، إنه إتلاف !
ياللعجب ! يغار على المساكين ، وهو يسرق الهياكل !
يتحدث عن الثمن الكثير ، وهو بائع معلمه ، بثلاثين من الفضة !

إن الذين لا يحبون من أعماق القلب ، مراؤون !
يتحدثون عن المساكين لا حباً فيهم . . بل لأنهم يأكلون اليتامى والأرامل !
ويذهبون للكنائس لا حباً فى الله ، بل لنوال تمجيد الناس !
قد باعوا إيمان ربنا يسوع ، وساروا فى خطوات الأسخريوطى!

ربى وإلهى . .
لا تجعلنا من الفاترين فى حبك . .
بل رافعين لك ، رائحة الطيب .

آمين

الشجرة العتيقة

« لا يأكل أحد منك ثمراً بعد ، إلى الأبد » (مرقس ١١ – ١٤)

لعن المسيح شجرة التين العاقرة . . لأنها كانت بلا ثمر .
إنها واقعة ، غنية بالمعنى العميق . .
مأساة القلب الفارغ غير المثمر ، ونهاية كل حياة غير منتجة !

فأنت وأنا ، أمناء على وكالة . .
أنت وأنا ، حائزان على وزنات لنتاجر فيها ، والرب يسوع ينتظر الثمر المتكاثر .
فماذا نفعل حين نسمع صوته – « أعط حساب وكالتك » ؟

اسمعوا صوت النذير . .
« كل غصن فى لا يأتى بثمر ، يُقطع ويلقى فى النار » (متى ٣ – ١٠) .
« الآن قد وضعت الفأس على أصل الشجر » (متى ٣ – ١٠) .
إنه صوت الملاك للكنائس ، يبكتها صراحة لأنها غير مثمرة .

فالشجرة الجيدة تعطى ثمراً جيداً ، والرديئة من ثمارها تعرفونها .
فإنهم لا يجتنون من الشوك عنباً ، أو من الحسك تيناً !

وكل مجمع من المؤمنين لا يثمر ، يشبه تلك التينة العاقرة . .
جسد ميت لا روح فيه ، عشب يابس ، وزهر يفنى جمال منظره . .
ومن ليس له شئ ، فالذى يظنه له يؤخذ منه !

والرب لا يشفق على الأغصان ، التى لا تثمر . .
قُطعت ، وطعّم عوضاً عنها فى زيتونته الأصلية ، فأثمرت ثلاثين وستين ومائة ! !
وقد قيل لليهود قديماً ، كيف يؤخذ ملكوت السموات منهم ، ويعطى لأمة تصنع ثماره . .
ولا تفتكروا أن تقولوا فى أنفسكم لنا إبراهيم أباً . .
فهو قادر أن يقيم من الحجارة أولاداً لإبراهيم! (متى ٣ – ٩)
وليست هناك منفعة أو شفاعة ، لقوم يقتربون بالشفاة . .
وقلوبهم غير مثمرة ، بالبر الذى بالإيمان العامل . .

* * *

وفى النهاية ، ترمز مأساة التينة العاقرة ، إلى نهاية خدمة الناموس العبرى القديم . .

إلى انتقال الملكوت من إسرائيل القديم، إلى أمم وشعوب كثيرة..
فالمسيح منذ تلك الساعة ، قد انتزع خدمة الملكوت الجديد
ليصيره من كهنوت هارون إلى كهنوته الأبدى ، على طقس
ملكى صادق .
ومن العهد الموسوى العتيق . . إلى العهد الجديد بدمه !
من ناموس موسى الحجرى .. إلى النعمة والحق بيسوع المسيح

من سيناء القديمة ، حيث الرعود والبروق . .
والظلمة وصوت الزوبعة ، والجبل الملموس بالنار . .
إلى أورشليم السمائية الحرة . . حيث الصليب ، وكنيسة أبكار
ومفديين .. .
ربوات قديسين ومحفل ملائكة ، ودم مرشوش ، يتكلم أفضل
من هابيل .

منذ تلك الساعة — لا يكون من إسرائيل ثمر !
إلى أن تتم أزمنة الأمم ، فيُرفع الغضب وتخلص البقية . .
فالقديم أصبح عتيقاً ، ومال إلى الاضمحلال ، غير مشم
للخلاص . .

أما الزيتونة الجديدة فقد ثبتها على عهد أفضل . .
بوسيط أفضل ، وخدمة أفضل ، إلى الأبد .

فالطوبى والبركة لمن يكون له نصيب فى ثمار هذه
الشجرة ، التى غرستها يمينه . .
وكل من يشترك فى الأغصان والثمار ، ينقيه ليأتى بثمر أكثر . .
إلى أن يجىء فى مجده ، ليعطى كل واحد كنحو أعماله .

آمين

الرب محتاج

« الرب محتاج إليه » (مرقس ١١ – ٣)

ربنا نفسه يسوع المسيح !

بهاء مجد الله ، ورسم جوهره . . (عبرانيين ١ – ٣)

من تخدمه قوات الملائكة وربواتها ، وتسجد له كل الرئاسات العلوية . .

ربنا يسوع المسيح ، ابن الله الوحيد !

يرسل قدام وجهه رسلا إلى قرية متواضعة ، ويطلب من أحبا مجهولين جحشاً ليركبه !

فإن « الرب محتاج إليه » !

الملك العظيم ، الصانع ملائكته رياحا ، وخدامه لهيب نار (عبرانيين ١ – ٧) .

لا يعد لنفسه مركبة نارية من السماء ، كمركبة صعود إيل النبي . .

بل يختار الجحش المتواضع ، ليركبه فى الدخول لمملكته الجديدة

وحتى ذاك الحيوان المتواضع ، لم يكن يمتلكه !

الرب محتاج ، وليس عن احتياج ! !

ويوحنا المعمدان سبق فاحتج من الدهشة . .

«أنا محتاج أن أعتمد منك وأنت تأتى إلى » ! (متى ٣ – ١٤)

فأجاب يسوع « اسمح الآن ، لأنه هكذا يليق بنا أن نكمل كل بر » !

هو احتاج إلى رجال ونساء يخدمونه من أموالهم . .

ويقبلونه تحت سقفهم ، كى يُغنى بهم الكثيرين !

(لوقا ٨ – ٣)

قدم إليه صبى مرة ، خمسة أرغفة شعير متواضعة ، ليشبع أكثر من خمسة آلاف من الجياع ، وفضلت عن الوليمة اثنتا عشرة قفة ! (يوحنا ٦ – ٩)

احتاج إلى سواعد الخدام فى قانا الجليل ، كى يملأوا الجرار الفارغة ماء . .

فأحالها بكلمته إلى خمر الابتهاج فى العرس ! (يوحنا ٢ – ٧)

وإلى رجال يرفعون الحجر عن قبر لعازر الميت ، كى يرد الحياة إلى جسده بعد أربعة أيام . (يوحنا ١١ – ٤١)

احتاج ليركب الجحش إلى أورشليم ، وديعاً متواضعاً..
إلى الموت . . إلى الصليب . . إلى القبر الغريب !
كما احتاج إلى مائدة ، يعدها تلاميذه له فى الفصح الإلهى الأخير . .
وتمم المكتوب فى الأنبياء قديماً ، بحرفه وروحه . .
« قبلت عطايا بين الناس ، والمتمردين للسكن » !

إنه محتاج إليك . . هلم أرسلك أمامى .
قد يحتاج إلى أموالك ، مواهبك ، غيرتك ، وقوة ساعدك !
فهناك رابطة لا تنفصم عراها ، بين المسيح وكنيسته . .
شركة عميقة متبادلة ، بينه وبين بشريتنا الضعيفة !
هو يأخذ مما لنا .. كى يعطينا مما له !
ويأخذ من ضعفك . . ليبادلك نعمة فوق نعمة !

الكنيسة محتاجة إلى جهودك ، مهما تواضعت . .
فلا تهرب منها ، أو تزوغ متوارياً بين بنى البشر . .
كأس الماء البارد لأحد إخوتك الأصاغر ، الفلسان المتواضعان لأحد إخوته المساكين . .
العشور للمحتاجين ، العزاء للحزانى ، الافتقاد للبائسين

والمطروحين ، والتبشير للضالين . .

وفى النهاية لن يضيع أجرك !
فهو يعطى بسخاء مائة ضعف . .
وتشاركه ميراثاً لا يضمحل أو يتلاشى فى السماويات ، مع ربوات القديسين .

آمين

حرية المجد

« وتعرفون الحق ، والحق يحرركم » (يوحنا ٨ – ٣٢)

نحن أحرار . . نحن أحرار !

حررنا الابن الوحيد، فبالحقيقة صرنا أحراراً (يوحنا ٨ – ٣٦).

نسمع اليوم قولا كثيراً عن الحرية ، من مشارق الأرض إلى مغاربها . .

هى فى كل كتاب وعلى أى لسان !

يختلف الناس فى فهمها وفق مذاهبهم ، ومبادئهم ، واتجاهاتهم!

مثل كل شئ فى العالم ، قد اتفق أولاده ألا يتفقوا عليه !

ولكنها على لسان المسيح ، أخذت معنى جديداً . .

واكتسبت سمواً وجلالا ، أكيداً مجيداً . .

فمن شفتيه انسكبت حرية العهد الجديد ، حرية مجد أولاد الله . .

وبإعلاناته خرجت أخبار الحرية الحقيقية ، طاقة عظيمة

لا تقيد ، ولا يختلف فى معناها اثنان !

• • •

المسيح يحرر النفس من الخطية . .

عمل التعدى الردىء ، الذى عمل تحت الشمس . .

فالخطية خاطئة جداً ، وقبيحة إلى المنتهى . .

ارتبط بها البشر من البداية ، فعذبتهم ، وخلقت فيهم شعور الذنب والندامة . .

من البدء يقول قايين ، « ذنبى يارب أعظم من أن يحتمل » !

(تكوين ٤ – ١٣)

وفيها يقول بولس، « ويحى أنا الإنسان الشقى ! » (رومية ٧ – ٢٤)

وإليها يشير المسيح ، « كل من يفعل الخطية هو عبد لها » !

(يوحنا ٨ – ٣٤)

ولكن اسم يسوع البار ، قد حطم هذه العبودية ، وكسر ذاك النير والهوان . .

فى المسيح خُلقت للوجود مثل عليا ، وفضائل لا مثيل لها تحت السماء !

إنها تجديد، إنها الولادة الثانية بالماء والروح (يوحنا ٣ – ٥).

وهو أعتقنا من عبودية الخطية ، أزال شوكتها وسلطانها الأول ،

بالغرائز والانفعالات . .
وصرنا أولاد النور ، وأولاد النهار . .

فى هذا ينادى الرسول منتصراً « بعظم انتصارنا بالذى أحبنا »!
(رومية ٨ — ٣٧) .
ويقول أيضاً : « لن تسود كم الخطية » ! (رومية ٦ — ١٤) .
لا تملك فى أجسادنا نجاستها ، لأننا تحت النعمة . .

وكل هذا التحرر الداخلى العميق ، ما كان ليحدث لولاه . .
ترى بشاعة الخطية ، من طهارة وجهه !
وأجرتها الرديئة ، من صفاء عينيه !
فظاعة الإثم ، من المسامير التى ثقبت يديه !
وأجرة الموت من الحربة والجراحات العميقة !

لهذا بكى بطرس بكاء مراً . .
لهذا تركت السامرية جرتها ، عند بئر السامرة . .
ودهنت الخاطئة قدميه بالطيب ، ومسحتهما بشعر رأسها ودموعها!
لهذا ركض زكا فوق الجميزة ، وأعطى نصف أمواله للمساكين !
وترك متى خطاياه عند كرسى الجباية ، ومضى يتبعه !

إنها ثورة الحرية ، حرية العهد الجديد !

• • •

والمسيح محرر مثالى !
يحرر أيضاً من الخوف والقلق والاضطراب . .
فقد ثبت أن أولاد الله بالروح والحق ، يملكون نوعاً ممتازاً من الصلابة والاستقرار والسلام . .
وهذه النفسية الخاصة ، التى يتميز بها أحباؤه ، ترجع إلى روح المسيح فيهم . .
الروح الأولى التى أخذتها الكنيسة منه منذ البداية .

فهو يقول : « ثقوا . . أنا هو . . لا تخافوا » !
« لا تضطرب قلوبكم ولا ترهب » (يوحنا ١٤ — ١) . .
« أنا معكم كل الأيام ، وإلى انقضاء الدهر »! (متى ٢٨ — ٢٠)
ولذا فأبواب الجحيم لن تقوى على نفسك ، وسفينة إيمانك لا تنكسر .
بسلامة تضطجع ، لأنه يعطى حبيبه نوماً . .
وحتى إن اهتزت الجبال وفاضت المياه ، لا تتزعزع أساساتك !

انظروا العالم حولكم . .
قارنوا بين حريته والحرية التى بها حررنا المسيح . .

توجد أغلبية ساحقة ، ممن يسمون أنفسهم أحراراً . .
وهم يعانون القلق العميق ، وعدم الاستقرار . .
الخليقة كلها ، تئن وتتوجع . .
يضطجعون ولا ينامون . . يسهرون ولا يهدأون !
فى جفونهم سهاد وإرهاق ، فى أفكارهم بلبلة وخوف . .
وفى جباههم ، تجاعيد عميقة !

لا سلام فى العالم ، ولا حرية تحت مبادئه وأعلامه !
فاطلبوا السلام ممن قال : « سلاماً أترك لكم ، سلامى أعطيكم ،
ليس كما يعطى العالم أعطى أنا » ! (يوحنا ١٤ — ٢٧) .
تشدّد وتشجع جداً . . إنه معك وإلى جوارك !
فراغ القلب ملأته نعمته الغنية ، التى لا تستقصى . .
والسراج المنطفئ ألهبه وأوقده ، بزيت نعمته .
فبشروا بهذا بين المتعبين ، وثقيلى الأحمال . .
بين فاقدى السلام ، ، ومضطربى القلوب . .
ووسط اليائسين ، والمتروكين ، والمتحيرين . .
ليكون لهم نصيب فى الحرية الجديدة ، التى حررنا بها المسيح !

* * *

وفى النهاية ، حررنا من الموت !

آخر عدو فى الوجود يُغلب على أمره . . هو الموت !
(١ كورنثوس ١٥ — ٢٦) .
مات أولاد الله ورجال الإيمان منذ البدء ، على رجاء وعد الحياة الأبدية . .
ماتوا جميعاً قبلما ينالون المواعيد ، أو يدخلون الراحة المرجوّة . .
واجتمعت نفوسهم ، فى انتظاره ، فى الهاوية !

وبعد أن مات المسيح بالجسد ، نزل إلى الهاوية . .
كرز للنفوس التى فى السجن ، أعتقها وحررها . .
وفتح لهم جميعاً أبواب الفردوس ، الذى لا تغرب شمسه !
(١ بطرس ٣ — ١٩) .
وتفتحت قبور ، وظهر كثير من الصديقين بقيامة أجسادهم ،
فى المدينة المقدسة !

تلك أعظم الحريات جميعها . .
ومن الضرورى أن نتذكرها ، لنعزى بعضنا بعضاً . ..
لنا مسيح حى ، لا يمسكه الموت . . (أعمال ٢ — ٢٤)
فى يمين العظمة ، فى الأعالى . . (مرقس ١٦ — ١٩)
أعداؤه ، عند موطئ قدميه . . (مرقس ١٢ — ٣٦)
وكرسيه ، إلى دهر الدهور . . (مزمور ٤٥ — ٦)

صائراً أعظم من الملائكة . . (عبرانيين ١ — ٤)
وجاثية له ، كل ركبة . . (فيلبى ٢ — ١٠)

إنه يحرر من خوف الموت بلا رجاء ، ومن سلطان الجحيم . يقول : « أين شوكتك ياموت ، وأين غلبتك ياهاوية ؟ » (١ كورنثوس ١٥ — ٥٥)
تأتى ساعة ، فيسمع الذين فى القبور صوته . . (يوحنا ٥ — ٢٨)
الترابيون والسمائيون . . الراقدون والأحياء !
ثق به ، وهو يشجعك « أنا أقيمك فى اليوم الأخير ». (يوحنا ٦ — ٤٠) .

أخبار سارة ، وامتداد حياة أبدية ، فى أحضانه . .
حرية كاملة ، هنا وهناك . .
فى الجسد ، أم خارج الجسد .
فاكرزوا بهذا الحق لجميع الباكين ، ومن ليس لهم رجاء فى الأرض . .
لننال معاً نصيباً ، فى حرية مجد أولاد الله !
بالمسيح يسوع مخلصنا .

آمين

قد أكمل !

« فلما أخذ يسوع الخل ، قال قد أكمل ، ونكس رأسه وأسلم الروح »
(يوحنا ١٩ — ٣٠)

مات إبراهيم بشيخوخة عامرة بالأيام والإيمان ، بعدما عاش طوال حياته متغرباً فى الخيام ، على رجاء نسل يرث به الأرض ، وأمم تتبارك فيه . مات دون أن ينال هذا الوعد أو يرى إتمامه ، ودفن فى مقبرة غريبة ، بجوار زوجته سارة . .

خدمة عظيمة ، وإنما رسالة لم تكمل بعد ! ولكن رقد معه رجاء إلى جواره . .

ومات يوسف الصديق فى مصر ، بعد أن خلص الأرض كلها وإخوته من المجاعة الطاحنة ، وبعد أن جعل لهم مقاماً فى مصر القديمة . ولكنه وهو على سرير الموت ، أوصى من جهة عظامه ، ليصعدوا بها معهم من مصر إلى كنعان ، حينما يفتقدهم الله .

رقد إلى جواره هذا الرجاء ! خدمة عظيمة ، وإنما رسالة لم تكمل بعد !

ومات موسى نبى الشريعة العظيم ، الرجل الذى قاد ش
فى البرية أربعين سنة ، من مصر إلى ضفاف الأردن .
كانت أمنية حياته أن يدخل أرض الميعاد ، التى تفيض
وعسلا . بقيت نضارته ولم تكلّ عيناه ، وهو ابن مائة وعشر
سنة . رأى الأرض الموعودة ببصره ، ولكن بقى الأردن المتك
فاصلا عنيداً بينه وبينها . فمات فى قبر مجهول دون أن يد
أرض الموعد .

خدمة عظيمة ، ولكنها بقيت غير مكملة !

ودخل الشعب أرض الميعاد . . ولكن يشوع القائد المؤ
العظيم ، مات وهو يقول « بقيت أرض كثيرة جداً للامتلاك »
إذ أدرك بالروح ، أنه قد بقيت راحة لشعب الله لم يدخلوها بعد

خدمة عظيمة ، لكنها رسالة لم تكمل بعد !

على هذه الوتيرة مات الآباء أجمعون . .
على هذه الوتيرة ، رقد رجال مدينة الله . .
واحد يجىء ، فى أعقاب واحد يذهب !
هذا يموت ، ويسلم خدمته لآخر . . من يد إلى يد ، و
فم إلى فم !

كل هذا والرساله واحدة على مرّ الأجيال والقرون ، والخدمة فصولها لم تتم وصفحاتها لم تكمل ! وهذه السحابة العظيمة من الشهود ، رقدت على الرجاء تنتظر الكمال ، من سيختم السفر ويكمل الرسالة ؟

* * *

إلى أن كانت ساعة من نهار ، أظلمت سماؤها وغامت ، وتسربلت فيها أورشليم برداء حزين ، لم تلبس مثله فى حياتها قط . . وفى خارج أسوارها المرتفعة ، فوق تلّ الجلجثة ، رفعت ثلاث خشبات ، وعلقوا على الصليب الأوسط جسداً رقيق العود ، كانت السماء شاخصة إليه !

تكلم فوق صليبه سبع مرات ، لينطلق سبع كلمات ! وربوات من الآباء والقديسين والملائكة ، كانت عيونهم ناظرة إليه ، وجوههم مثبته على وجهه ، وآذانهم متلهفة إلى كلماته ! وكانت الساعة تقترب من الثالثة بعد الظهيرة ، حينما فتح فمه الطاهر . فاستجمع قواه المتهالكة ، وصاح بالكلمة السادسة على الصليب « قد أكمل ! »

صيحة تردد صداها فى أعلى علو السماء ، وأعمق أعماق الهاوية ! صيحة الخلود ، والظفر ، صيحة انتصار ذاك الذى

أحبنا ! ليست فيها آلام قلبك نحو أمتك ، ولا أوجاعك نحو أمك الثكلى . ليست فيها الوحدة الموجعة ، لأن الآب قد حجب وجهه ، ولا جفاف اللسان وأنت تقول « أنا عطشان » !

بل فيها خلودك ، يا ابن الله . .

أكملت سعيك ، وتممت خدمتك . .

حفظت عهدك ، وبنيت بيتك . .

رفعت أعمدتك السبعة !

وغلبت العالم بأسره ، لنفسك . .

أيها الملك فوق الملوك ، ورب الأرباب !

* * *

ماذا أكملت أيها الابن الحبيب على هذه الخشبة ؟

نعم أكملت خدمة كل تلك السحابة ، من الأنبياء والحدام والشهود . إبراهيم تهلل وجهه ، إذ رأى يومك العظيم وساعتك المجيدة . ولما قلت هذه الكلمة على الصليب ، أتممت له خدمته ورجاءه القديم .

ففى إيمانه تباركت جميع الأمم ، وإلى أحضانه جاء كثيرون من المشارق والمغارب .

مثل رمل البحر ذريته ، وكنجوم السماء فى الكثرة !

وموسى وإيليا ، أتممت خدمتهما بهذا الخروج ، الذى كنت عتيداً أن تكمله بآلامك على الصليب . فأتممت ذلك الحديث الذى بدأته معهما على جبل التجلى المجيد ! يشوع أيضاً ، أدخلته مع شعب الله إلى الراحة الموعودة ، فى المكان الذى هرب منه الحزن ، والبيوت غير المصنوعة بأيادى الناس !

وتممت أقوال أشعياء الذى رآك فى الروح قبل قرون ، وأنت كشاة صامته تساق للذبح ، لم تفتح فمك . . مجروح لأجل معاصينا ، ومسحوق لأجل آثامنا . . ساكباً للموت نفسك ، ومحصى مع الأثمة ، لتبرر كثيرين وتشفع فى المذنبين. وداود قد أكملت مزموره حينما قال ، ثقبوا يديك ورجليك وأحصوا كل عظامك ، اقتسموا ثيابك وعلى ردائك ألقوا قرعة !

* * *

ماذا أكملت أيها الابن الحبيب ، على خشبة الصليب ؟

أكملت كل الرموز والخدمات القديمة ، كهنوت هارون . فكلها كانت ظلا لخيرات عتيدة ، كملت عندما نطقت بالكلمة السادسة على الصليب . ليست أشباه السماويات بل السماويات نفسها !

فصح الرب القديم فى مصر ، خدمة الدم ، تشير إليك

يا « حمل الله الذى يرفع خطية العالم » . فبدون سفك دم لا تحصل مغفرة ! وأنت المسيح ، فصحنا الذبيح . . جسد مصلوب ، ودم مرشوش ! كى يجوز عنا الملاك ولا يهلك ، لأنك تخلص ما قد هلك !

وعبور البحر الأحمر ، والسحابة فى البرية ، تشير إلى معموديتك الجديدة. والصخرة التى شرب منها الشعب فى البرية ، هى المسيح . والحياة على المن أربعين سنة حتى جاءوا إلى أرض عامرة ، تشير إليك أيها الخبز الحقيقى النازل من السماء . يُعطى حياة أبدية لكل من يأكل منه ، ليس كما أكل آباؤكم المن وماتوا ! وكما رُفعت الحية النحاسية فى البرية ، هكذا رفع ابن الإنسان ، كى لا يهلك من يؤمن به بل تكون له حياة الأبد .

فى القديم ذكرٌ لخطايا كثيرة ، وذبائح ومحرقات تقدم كل يوم وكل سنة ، عن خطايا الشعب والذين قدموها . ولكنها لا تقدر أن تنتزع خطية ، ودم ثيران وعجول لا يستطيع أن يغسل إثما . إنما كلها تشير إلى ذبيحة الصليب. وجاء المسيح رئيس كهنة على طقس جديد ، خادم المسكن الحقيقى ، فقدم ذبيحة مقبولة أبدية ، مرة واحدة وبلا عيب ، أى ذبيحة نفسه !

* * *

ماذا أكملت أيها الابن الحبيب ، على خشبة الصليب ؟

أكملت العمل الذى أرسلت من أجله . . فقد تركت العرش إلى المذود الوضيع ! وخدمة الناصرة الهادئة ورسالة الجليل ، أكملتها خارج أبواب أورشليم .

ولم تتم قط خدمة بهذه الروعة ولا كملت بهذا الكمال .

كل ساعة عبرت ، كانت إتماماً لمقاصدك ، ومشورتك المحتومة . . فالذين صلبوك ، لم يعرفوا ما هم فاعلون ، وإلا لما صلبوا رب المجد . . والذين رفضوك ، صار رفضهم مصالحة للعالم بأسره ، وزلتهم صارت خلاصاً ، ونقصانهم غنى للشعوب !

أكملت العمل ، المصالحة بين السماء والأرضيين . فالله كان فى المسيح مصالحاً العالم لنفسه ، غير حاسب لهم خطاياهم. أكملت السلام ، سلام القلب والنفس بين القريب والبعيد ، حين جمعت لنفسك جميع الإخوة المتفرقين ، إلى واحد. أكملت الوثيقة الجديدة ، عهداً بين الله والناس ، لا تعود تذكر خطاياهم وتعدياتهم ، ليصيروا لك شعباً مختاراً وأمة مقدسة . كل هذا أكملته يا ربى ، بإرادة واعية مطلقة ، باختيار المحبة الكاملة غير المنقوصة ، عند ما نطقت هذه الكلمة السادسة على الصليب !

* * *

ماذا أكملت أيها الابن الحبيب ، على خشبة الصليب ؟

الكأس امتلأت وفاضت ، مكمل بالآلام ! ومن يطالع
آلام ساعتك فى الأناجيل ، كما رواها الذين عاينوها من
البداية ، يتراءى له أنه لم يذق أحد الألم عميقاً كما تذوقته
أو الموت كما تجرعته . .

الإناء الرقيق يتحطم ، والعود الرطب ينكسر . .
الأكتاف الممزقة ، الظهر العارى ، والعار الذى للازدراء .
الجراحات العميقة الأربعة ، وأنت معلق عليها . .
الأعصاب النابحة بالألم ، والشرايين النازفة بالدم . .
الرأس المتفجر بالأوجاع ، واللسان الملتهب بالجفاف .

أما آلام نفسك العظيمة ، فمن يسبر غورها وعمقها
ومن يقدر أن يشاطرك أسرار قلبك الدفينة ؟
من جراء شعبك ، ومن جراء خطايا الكثيرين . .
من أجل أحبائك ، ومن أجل أعدائك . .
الآب يحجب وجهه ، فى ساعة الظلمة !
والملائكة أُمسكت ، فلا تقدر أن تخدمك فى محنتك . .
والألسنة الشريرة كانت تلعن باستهزاء !

فتذكروا كيف احتمل كل هذه المقاومة ، إلى أن نطق بالكلمه
السادسة على الصليب . . « قد أكمل » !

* * *

ماذا أكملت أيها الابن الحبيب ، على خشبة الصليب ؟

أكملت انتصارك ، والذى جربك فى البرية أربعين نهاراً
وأربعين ليلة ، جاء أخيراً وليس له فيك شئ ! جاءت الحية
القديمة لتلدغك ، ورئيس سلطان الهواء ليعثرك . أما أنت
فأكملت سعيك وجهادك ، لتسحق الحية تحت قدميك ،
وتبطل كل رئاسة وسلطان حاول أن يسود عليك . . أشهرتهم
ظافراً بهم ، وأسقطت العدو المتكبر من السماء كالبرق ، إلى
أعمق أعماق الجحيم .

كان يجربك ويهمس إليك ، انزل عن الصليب إن كنت
ابن الله ! لماذا تموت هذا الموت المريع ؟ أمن أجل إسرائيل
شعبك ؟ إنهم لا يقبلونك ، قالوا ليس لنا ملك إلا قيصر !
أمن أجل تلاميذك وأحبائك ؟ أشجعهم أنكرك ، وآخرهم
أسلمك ، والباقون تفرقوا مثل غنم ضالة ! أمن أجل الأمم ؟
أنصت إلى لعناتهم ، استهزاء واحتقار وجلدات كثيرة . أما هو

فقال ، اذهب عنى ياشيطان ، فلن أنزل عن صليبى وعرشى الذى أخترت !

فحقاً قد جاء الأقوى ، لينهب بيت القوى المجرب ، يقيده ويبطل سلطانه .

* * *

ماذا أكملت أيها الأبن الحبيب ، على خشبة الصليب ؟

أكملت حياة حافلة ، لم تقم مثلها بين البشر حياة !
هذه السيرة العجيبة ، ذات الأثر العميق ، أكملت آخر أنفاسها على الخشبة . .
النعمة والسمو ، النقاوة والحب العظيم . من بيت لحم الصغيرة إلى الناصرة ، ومن شواطئ البحيرة اللامعة فى الجليل إلى أورشليم . .
من يمسكك على خطية ، أو يبكتك على عيب ؟

فى وسط كل الكذبة والأردياء ، المتكبرين والظالمين وشهود الزور ، بقى يسوع محتفظاً بمحبته وتقواه . ببهاء مجده ! لم يوجد نسيج له كل هذا النقاء والروعة ، ولا تم لحن خالد بدون عيب واحد ، مثل لحن حياة ابن الإنسان . فجمال حياته كائن فى طبيعته ، فى نفسه وفى روحه .

ما هذه القوة التى انبعثت من حياته فى تلك الساعة الأخيرة ؟ وكيف يمكن تفسير كل هذه الظواهر العجيبة ؟
لماذا يشنق يهوذا نفسه ؟ ويبكى بطرس بكاء مراً ! لماذا ترسل زوجة بيلاطس الغريبة ، تلك الرسالة إلى رجلها متألمة ؟
ولماذا يطلب بيلاطس ماء ليغسل يديه ؟ لماذا يقرع الواقفون عند الصليب ، صدورهم وقت الظلمة ؟ ولماذا يطلب اللص القاتل ، أن يدخل إلى الفردوس !

لماذا كانت كل هذه الانفعالات العنيفة ، فى حياة أولئك الناس ؟ ليست هناك سوى إجابة واحدة ، إن يسوع كان طاهراً بلا خطية . فكانت حياته النقية منعكسة على من حوله من الخطاة ، فيسقطون أسراه !

يهوذا قال « أسلمت دماً بريئاً » !
وامرأة الوالى « يابيلاطس ، إياك وهذا البار » !
والوالى « لست أجد علة فى هذا الإنسان » !
وقائد المائة « حقاً كان هذا ابن الله » !

* * *

ولما كانت الثالثة بعد الظهيرة ، وبعد أن قال الكلمة

السادسة . .

نكس رأسه فى جلال وهدوء ، وأسلم الروح . .

قد أكمل كل شىء ، ليستعيده عند فجر القيامة !

والله خلق كل شىء ، وأتمه حسناً فى اليوم السادس ، ثم استراح . .

وأتم أيضاً كل شىء وأكمله ، فى الكلمة السادسة على الصليب .

رأى يسوع ما عمل ، أنه حسن . .

حسن للغاية ، فى عينيه . .

فأغمضهما واستراح !

آمين

بالحقيقة قام

« أنا هو القيامة والحياة » (يوحنا ١١ – ٢٥)

« قد قام » (لوقا ٢٤ – ٦)

فى اللحظات التى مات فيها المسيح على الخشبة ، والفترة الضيقة التى تبعتها ، لم تكن هناك جماعة أكثر ضعفاً وخزياً ، وأوفر حزناً وانسحاقاً ، من كنيسة الرب .

كان إحصاء نفوسها لا يتعدى عشرات قليلة ، أكثرهم جرأة قد أنكر معلمه بتجديف وصياح وقسم . وأخلصهم إليه تفرقوا مذعورين من الخوف ، لتجمعهم حجرات مغلقة مثل قطيع من الخراف الهاربة المضطربة . لا يظهر واحد من هذه الشيعة المتفرقة فى مجمع ، أو يجرؤ على الكلام فى الهيكل ، فإن لغته تظهره .

كانوا جميعاً على هذه الحال ، والسبت يلوح .

فكيف كان ما كان ؟ وكيف استحالت القصبات المرضوضة إلى أعمدة الكنيسة ؟ وصار الضعف قوة ، والهوان

كرامة ، والحزن والرثاء فرحاً وابتهاجاً ، حتى يتسلطون على المبادئ ، ويقوون على السلاطين والرياسات ، ويغلبون العالم بأسره !

هناك إجابة واحدة ممكنة ، القيامة من الأموات ! فتلك الثورة الفاصلة فى تاريخ البشرية ، إنما تولدت بقوة قيامة الرب الخالدة . هى كانت السبب المباشر فى قيامة الكنيسة المنظورة ، بقوة وعزم وتكاثر ، بصلابة عميقة أقوى من التاريخ وأثبت على الاضطهاد !

شعر بذلك أعداء الكنيسة فى القرون الأولى ، فاضطهدوها وقاوموها . غير أن قيامة يسوع ، هدمت كل علو ارتفع ضدها ، لتبقى حقيقة الروح والتاريخ التى لا تتزعزع .
وشعر بذلك وأدركه أعداء الكنيسة فى الأيام الأخيرة أيضاً ، فقاوموها بإثارة الشك فى صحتها ، وبسائر التفاسير التى نسجوا خيوطها الواهية حول الروايات الإنجيلية . إلا أن قيامة الرب بقيت حقيقة صامدة كالصخر ، قائمة على أسس روحية وأدبية ومادية ، أقوى بكثير من أن تؤثر فيها فلسفات جامدة مجدبة ، لا حياة لها ولا خلود

وصف متى البشير قيامة الرب ، فى جو من البهاء والعظمة والإشراق ، يليق بقدرة الابن الوحيد وجلاله . ووصفها مرقس الإنجيلى ، بوقائع مبسطة وبراهين عديدة . وكتب عنها لوقا الطبيب الحبيب ، كما يكتب عن الأمور المتيقنة عندنا منذ البدء ، متحدثاً عن ابن الإنسان الذى أراهم نفسه حياً طوال أربعين يوماً ، ويحدثهم عن الأمور المختصة به وملكوت ملكوت الله .
أما يوحنا الرائى فقد كتب كتلميذ عاين وشهد ، لتؤمنوا بابن الله الحى ، ولتكون لكم فيه حياة أبدية .

* * *

وأول شهود قيامة الرب كانوا أعداءه ومبغضيه ! فالملائكة لباسها اللامع وهيئتها النورانية ، والزلزلة التى حدثت ، والحجر الكبير الذى دحرج ، والشروق العظيم فى وسط الظلمة . . كلها جعلت الحراس والعسكر يسقطون على وجوههم كأموات أمام مجده الذى لا يدنى منه ! (متى ٢٨ — ٤)

ولم يكن ممكناً أن تقاوم علامة قيامته بسلاح وسيوف وحرب ، لأنها كانت قادرة على هدم الحصون التى ارتفعت عليها ! فلم يبق طريق آخر لمقاومته ، سوى الصمت الذى لاذ به الحراس المساكين ، والرشوة التى دفعها قوم من أعدائه

ممن أعمى إبليس قلوبهم ، وتسلطت عليهم روح الكذب والافتراء والكراهية . .

شائعة ضعيفة أن تلاميذ سرقوه ليلا والحراس نيام ! (متى ٢٨ — ١٣،١٢)

وتجيء المريمات ، ودورهن فى قيامته عظيم ، كإخلاصهن عند موته على الصليب . جئن باكراً جدا والظلام باق ، ومعهن الحنوط ليعطين جسده حقاً من الكرامة ! وسبقتهن واحدة لها مكانة خاصة فى الإنجيل ، هى مريم المجدلية . آخر من بقى تحت الصليب وأول من توجه إلى القبر ! جاءت لتعاين أصحاب الهيئة النورانية ، يتحدثون إليها « إنه قام » ! ورأت القبر الفارغ والحجر المدحرج ، فاشتد اضطرابها وامتلأت دهشة وحيرة ، واختلط عليها الأمر بين الحقيقة والخيال ، إلى أن قطع يسوع شكها بيقينه . وإذ أخطأت هيئته الممجدة لحظة ، سمعت صوته فلم تخطئه ، ونظرته بدقة وعمق فعرفته ! نادت وهى جاثية عند قدميه « ربونى . . أيها المعلم » ! (يوحنا ٢٠ — ١٦)

كانت هذه شهادة المجدلية الأولى ، التى لا تخطئ . . إلى العالم!

والمريمات الأخريات أيضاً ، قابلهن فى الطريق ، وهن فى دهشة وحيرة من المنظر الذى كان فى القبر المفتوح ، وهيئة الملائكة النورانيين . فقطع يسوع حيرتهن بيقينه وظهر لهن وباركهن . وإذ سجدن له وأمسكن يقبلن قدميه ، ذهبن إلى التلاميذ مسرعات ببشارة القيامة ، إن الرب يسبقكم إلى الجليل كما سبق فوعد قبل موته (متى ٢٨ — ٩) .

وظهر الرب أيضاً لبطرس ، بصفة خاصة وشخصية ، كقول لوقا الإنجيلى . ولم يذكر الكتاب شيئاً تفصيلياً ، عن هذه الزيارة بين المسيح وتلميذه الحبيب . . (لوقا ٢٤ — ٣٤). فهناك فى حياة المسيح ، أشياء كثيرة ذات صفة خاصة ، لو كتبت واحدة واحدة ، فلست أظن أن العالم كله يسع الكتب المكتوبة !

وظهر فى اليوم عينه ، عند نهاية النهار ، لاثنين من تلاميذه كانا منطلقين إلى عمواس ، ودارت بينهما وبينه محاورة دقيقة عن الصلب والموت ، والأخبار المجيدة . . حدثهما عن النبوات القديمة ، الآلام والأمجاد . وإذ مكث معهما ببساطة الأحباء وقد مال النهار ، أخذ الخبز وبارك وكسر . . وللوقت

انفتحت أعينهما فعرفاه أنه يسوع ابن الله ، وعادا إلى أورشليم بالأنباء السارة ! (لوقا ٢٤ — ٣٥)

وفى هذا الأحد نفسه ، الغنى بالأحداث ، أظهر يسوع نفسه لتلاميذه . كانوا مجتمعين فى حجرة مغلقة النوافذ والأبواب، فوقف فى وسطهم يلقى عبارته الرقيقة ، التى لازمت البشارة باسمه . . « سلام لكم » ! وإذ كانوا مشدوهين حيارى ، هدأ اضطرابهم وفكر قلوبهم . أكل معهم وشرب ، وأراهم يديه وجنبه ، معلنا لهم ذاته المجيدة ، فعرفوا يقيناً أنه وسطهم حى (لوقا ٢٤ — ٤٢)

° ° °

وفى الأحد التالى ، ظهر مصحوباً فى ظروف عميقة التأثير فإن واحداً من تلاميذه لم يكن حاضراً الزيارة الإلهية الأولى ومع كون التلاميذ قد أكدوا له أنهم رأوا الرب ، فإن توما لم على شكه فيما سمع ، لايشاركهم الفرح العميق واليقين الصادق ما لم يتحسس بأنامله آثار الجراحات والطعنة فى جنبه ! (يوحنا ٢٠ — ٢٥) .

جاء مرة أخرى فى وسطهم ممجداً ، ووهبهم هذه البركة العجيبة

بسلامه الهادئ المتواضع . ثم اختص بحديثه توما ، الذى كانت الأفكار والهواجس تجوز فى نفسه . ناداه باسمه ، وأمره أن يلمس بيديه الحقيقة الواقعة من جهة كلمة الحياة . . ادفع إصبعك فى العلامة الأبدية الغائرة ، فى راحتيه ! وادفعه أيضاً فى الجراحات النافذة فى جنبه من الذين طعنوه ! ولتكن بعد ذاك مؤمناً ولو أضعف الإيمان ، إن كانت الحواس هى منبع الإيمان ! فصاح توما ساجداً مستسلماً بكل جوارحه « ربى وإلهى » ! (يوحنا ٢٠ — ٢٨) فطوبى للذين آمنوا ولم يروا !

وكان الظهور التالى ، الذى سجلته البشائر الإنجيلية ، لسبعة من تلاميذه بجوار بحر الجليل . كانوا قد عادوا حيناً إلى السفن القديمة والشباك للصيد ، وبعد ليلة من الكفاح اقتربوا نحو الشاطئ فى طيات الفجر المبكرة ، دون أى يمسكوا شيئاً .. ومن خلال الضباب كانت العيون تشخص إلى واحد لم يعرفوه بالتدقيق .

وأمرهم أن يلقوا شباكهم إلى الجانب الأيمن من السفينة ، وعلى كلمته ألقوا ، فلم يعودوا قادرين أن يجذبوا الشباك من كثرة الصيد !

وكانت هذه الآية لهم من القوة والإعجاز ، حتى أنها

أثارت فيهم ذكريات الأيام الأولى . . فى السفينة الأولى . . حين تبعوه ! « إنه الرب »، همس يوحنا فى أذنى بطرس الطيب القلب ، فألقى هذا بنفسه فى عمق المياه ، سابحاً بحماسة وإخلاص نحو الشاطئ القريب ، يتبعه الآخرون بالسفينة والفرح العظيم . وعلى شاطئ البحر ذى الذكريات الغنية ، أعطاهم ليأكلوا . .

ثم أنصتوا إليه يقول « ياسمعان بن يونا أتحبنى أكثر من هؤلاء ؟» (يوحنا ٢١ — ١٦) . ذكرته تلك العبارة بليلة الآلام ، بافتخاره ثم إنكاره ! ولكن عثرة بطرس علمته التواضع هذه المرة ، وجعلت فى قلبه أعمق إحساسات المحبة والتفانى . فأجاب يسوع ثلاث مرات « أنت تعلم يا سيد أنى أحبك » ! وعندئذ أعلن يسوع لسمعان طريق حياته المقبلة ، نهاية سيرته فى الإيمان ، وإكليل شهادته من أجل اسمه . ومن تلك الساعة استحال سمعان إلى بطرس « الصخرة » صاحب المفاتيح السماوية .

وجاء الإعلان الآخر عن يوحنا الحبيب ، الذى وهب له أن يعيش ليرى إسرائيل تتمزق ، والهيكل يحترق ويتهدم ، والعهد القديم يشيخ ويضمحل ، ليشرق نور عهد جديد فى المشارق والمغارب ، لجميع الأمم .

وظهر يسوع أيضاً فى الجليل ، كما وعد التلاميذ والنسوة ، لأكثر من خمسمائة (١ كورنثوس ١٥ — ١٦) . فأعطاهم وصاياه التبشيرية ، أن يكرزوا بالإنجيل معمدين باسم الآب والابن والروح والقدس ، كل إسرائيل وسائر الشعوب ، معطيا عهده الثمين ، أنه ماكث معهم كل الأيام وإلى انقضاء الدهر (متى ٢٨ — ٢٠) .

كما كان هناك أيضاً ظهور إلهى له صفة شخصية ، رواه بولس الرسول فى رسالته إلى أهل كورنثوس ، إن الرب قد ظهر ليعقوب ، الأسقف المسيحى الأول لأورشليم (١ كورنثوس ١٥ — ٧) .

وهكذا خلال أربعين يوماً كان يظهر لهم ، يخاطبهم ويتحدث إليهم ، ويكسر معهم خبزاً ، فإنه هو « الذى أكلنا وشربنا معه بعد قيامته » (أعمال ١٠ — ٤١) .

* * *

وفى النهاية أخذهم خارج بيت عنيا ، إلى الجبل ، وكانت وصيته الأخيرة أن يمكثوا فى أورشليم حتى يلبسوا قوة من الأعالى (أعمال ١ — ٤) ، روح الحق المعزى من السموات . ومد يديه المباركتين ، ومنحهم هذه البركة التى لازمت الكنيسة

كل الأيام . وأصعد عنهم ، وأخذته سحابة عن أعينهم الشاخصة إليه . . حتى يعود ! (لوقا ٢٤ — ٥١) .

واليوم ، لا تزال قائمة بيننا وبين مجيئة المنظور ، تلك السحابة عينها ، التى حجبت الفادى الحبيب بالعيان عن أنظار المتطلعين إليه . ولكن بصيرة الإيمان تخترقها ، فتراه عن يمين العظمة فى الأعالى ، آخذاً اسماً فوق كل اسم ومجدا فوق كل مجد . وقد أعطانا معزياً آخر ، الروح القدس ، يذكرنا بالناصرة وبحر الجليل وأورشليم وبيت لحم وبيت عنيا . وحيثما نجثو لنصلى إليه ، نكون مقربين فى حضرته الحبيبة ، مثلما اتكأ التلميذ الذى كان يسوع يحبه ، على صدره الحنون !

إن هدير الحروب وقلاقلها ، يهز العالم . . والنداءات إلى المتعة ، تغرق دعوة الرب الخالدة « اتبعنى » . وحتى هذه الساعة وفى وسط المسيحية المنظورة ، ترتفع ألسنة بالتجديف وعدم المبالاة بابن الله . ولكن سر الله لخائفيه ، هو يريهم عهده ، ويتكلم مع الذين ينصتون . وإلى أن تزول السموات والأرض ، سيجد أولاده وأخباؤه ، السلام والرجاء فى اسمه ، عمانوئيل . . الذى تفسيره « الله معنا » .

آمين

أُعطيت شوكة !

« فقال لى تكفيك نعمتى ، لأن قوتى فى الضعف تكمل »
(٢ كورنثوس ١٢ — ٩)

قلّ أن يوجد فى التاريخ ، رجال كانت لهم صفات بولس الرسول . فقصة إيمانه وكرازته أعظم من أن أتحدث عنها ، وحروف رسائله وتعاليمه أكبر من أن أخطها بقلمى .

والفصل الثانى عشر من رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس ، يسجل صفحة عظيمة فى حياة هذا الرجل العظيم ، وسراً عميقاً دفيناً من أسرار حياته ، كإنسان متألم ومجرب !
كانت عبارته وحروفه تفيض بالألم ، غاية فى المرارة ، ولكنها أيضاً غاية فى العزم ، فى الثقة ، فى الرجاء . فأضافت إلى جهاده الحسن ، وإيمانه المحفوظ ، وسعيه الكامل ، إكليل بر مجيد لرجل تزكى فى تجربة قاسية .

فى حياته الخاصة شوكة ! والشوكة تحمل فى معناها ، الألم النافذ الذى يدمى . . . فمنذ البدء خرج آدم من الفردوس

يتردد فى أذنيه الحكم الإلهى ، « ملعونه الأرض بسببك . . بعرق جبينك تأكل خبزاً . . وشوكاً وحسكا تنبت لك الأرض كل أيام حياتك » (تكوين ٣ — ١٧ و ١٨ و ١٩) . وكان العهد القديم يستخدم تعبير الشوكة للدلالة على الغضب ، والتأديب ، والأوجاع .

وحبة الحنطة الرقيقة إذا بذرها الزارع فى أرض الزوان ، ينبت الشوك ويخنقها فيقضى على علامات الحياة فيها . وربنا له المجد فى أيام تجسده ، عندما أتت ساعة خروجه من العالم إلى الصليب ، ضفروا له الشوك وجعلوا منه إكليلا على رأسه ، متوجاً هامته بالأوجاع !

أما بولس فشوكته فى جسده . تلازمه كظله ، لا تفارقه طوال أيام الحياة والوجود . وسواء اتفق المفسرون أو اختلفوا حول معرفة طبيعة شوكته ، فإنها كانت مرضاً أو عاهة فى البدن ، فى عينه ، أو بأعضائه ، أو فى باطنه .

وكانت ظاهرة للجميع ، تعذب فكره ، وتملأ بالضيق والحزن قلبه ، وتعطل عمل خدمته التبشيرية الثقيل . كتب مرة إلى الغلاطيين أن يشفقوا عليه قائلا « فيما بعد لا يجلب أحد على أتعـــاباً ، لأنى حامل فى جسدى سمـــات الرب يسوع »

(غلاطية٦ — ١٧) ، مشيراً بذلك إلى شوكته المؤلمة .

وقد جاء ذكر الشوكة ، عقب الحديث عن رؤيا مجيدة عاينها الرسول ساعة من الزمان ، وعبرت مثل اليقين الخالد ! إذ كان قد اختطف فى حالة لا يستطيع وصفها لبهائها وإشراقها ، إلى السماء الثالثة ، ليرى ما لم يخطر على بال بشر ، ويسمع ويسمع كلمات لا ينطق بها ولا يسوغ لإنسان أن يتكلمها ! وإذا بالرسول ينتقل من هذا الحديث عن بهاء الرؤيا ، وأمجاد السماويات ، إلى الحديث عن شوكة حياته وتجربة ضيقاته . ويذكرنا هذا على الفور بالمسيح .. حين ترك وراء ظهره مياه الأردن بعد عماده من يوحنا المعمدان ، حيث السماء المفتوحة ، والحمامة الهابطة من السحاب ، والصوت الإلهى « هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت » . فقد انتقل من بهاء المعمودية المشرقة ، إلى وحشة برية مقفرة جرداء . . مع الوحوش مساكنه ، والحجارة مسند رأسه ، أربعين يوماً مجرباً . فمن قمة المجد إلى وحشة التجربة !

وفى هذا تبدو حكمة التدابير الإلهية الدقيقة ، بتعيينه الزمان والميعاد والمكان ، كى يتزكى الصديق . وتمتحن النار

الذهب الخالص ، فيخرج أكثر صفاء وأبرع جمالا .

* * *

وأبحث عن علة فى شوكة بولس الرسول . هل كان مقصراً فى خدمته ، متردداً فى كرازته ، متخاذلا فى افتقاداته ؟ أم حاد عن وصايا الله ، أو انحرف عن طريق المسيح ؟ وهل استحق تجربة جسده ، لنقص شوّه خدمته الرابحة ؟

أقول على الفور بلسانه « أنا أفضل . . فى الأتعاب أكثر .. فى الضربات أوفر .. فى السجون أكثر .. فى الميتات مراراً كثيرة » (٢ كورنثوس ١١–٢٣) . هو أفضل فى الجلدات والرجم ، فى أعماق البحر والأسفار ، أخطار اللصوص ، أخطار اليهود والأمم والإخوة الكذبة . هو أفضل فى الأصوام والأسهار ، الأتعاب والصلوات واهتمام الكنائس ، « فمن يعثر وأنا لا ألتهب ! » (٢ كورنثوس ١١ – ٢٩) .

حارب الوحوش فى أفسس كإنسان ، وكان يموت كل يوم فى المسيح ، جرب مرة فوق الطاقة ، حتى يأس من الحياة ! (٢ كورنثوس ١ – ٨) .

قد استحق تاجاً وإكليلا يتوج هامته ، لا شوكة تدمى

جسده . . أقول هذا كبشر ، إذ أحكم فى الأمور حكماً عقلياً منطقياً ! ولكن تنتفى هذه أمام حكمة الله ومشورته . بالعمق غناها ، فما أبعد أحكامك عن الفحص وطرقك عن الاستقصاء ! . كبعد المشارق عن المغارب ، وعلو السموات عن الأرض ، علت أفكارك يا ربى على أفكارى . .

إن الضيقات غير العادية ، ليست بالضرورة جزاءً لخطايا غير عادية .

بل قد تراها اختباراً ، وإعلاناً لفضائل ممتازة غير عادية . والتجارب متنوعة ، فما تراه للحزن تراه أنت يا رب للفرح . . وبدك الإلهية أيها الفخارى العظيم ، تنحت وتهذب آنية الكرامة المختارة !

ويعجبنى فى الرسول قوله « أعطيت شوكة فى جسدى » . والتعبير فى نظرى بالغ الأهمية . لم يقل « أصبت » ، فالشوكة فى عينيه ليست مصيبة ! ولم يقل بُليت فالشوكة فى عينيه ليست بلوى ! بل قال « أعطيت » ، لأن الشوكة فى عينيه هى عطية ! تأتى من عند الله ، خالصة مثل الذهب ! فما أروعها طاعة نادرة المثال !

* * *

وإزاء الوضع المحير الذى وجد بولس نفسه فيه ، لجأ تو
إلى دستور المسيحية الأول ، ليمارس السؤال والطلبة والصلاة م
أجل نفسه . فالصلاة دستور العلاقة الوثيقة بين المسيح وأتباعه
حق مكتسب ، وحرية مجد أولاد الله . لست بعد عبداً بل
ابناً ، ووارثاً لله بالمسيح (غلاطية ٤ — ٧). فاسأل ما تشاء
واطلب ما تشاء ، واقرع كما تشاء !

وكمثل إبراهيم الذى دعى لله خليلا ، أو موسى الذى صار
كليماً ، ارفع سؤال قلبك وصلاة نفسك ، إلى عرش النعمة
تعال انطلق معه فى الطريق محادثاً إياه ، ولا تكتم فى قلبك
شيئاً . فى وقت مناسب أو غير مناسب ، وبلجاجة ، بكل
مجاهرة ، ولا تمل . واذكر قوله لإبراهيم « لا أخفى عن عبدى
إبراهيم ما أنا فاعله » .

وهكذا بولس الرسول رفع إلى الله طلبته ثلاث مرات ، بإصرار
وضراعة ولجاجة . انسكب أمامه ، بأنات لا ينطق بها ، أن
ترفع التجربة عن جسدى كى أخدمك أكثر ، وأحب أكثر .

ويذكرنى هذا المشهد بذاك الذى واجهه الرب يسوع
وليس العبد بأفضل من سيده ! فى اللحظات الأخيره من أيا
تجسده ، جثا يسوع على ركبتيه فى البستان ، وصلى صلا

ى الآب . وبينما هو يشرب الكأس ، ويُعتصر بالألم ،
يتذوق الهوان فى الضعف ، صاغها بالدموع والأنات للقادر
أن يخلصه . ثلاث مرات ارتفع أنينه الخافت ، مع همسات
ريح لأشجار الزيتون الشامخة ، التى عاينت شوكة تجربته
مرارة كأسه . . والتلاميذ فى سباتهم نيام غارقون !

وكما أن صلاة « ابن الإنسان » قد استجيبت بطريقة
أخرى مجيدة ! إذ سمع له الآب من أجل تقواه « فنزل من السماء
ملاك يقويه » ، محتملا صليبه ! ليذوق بنعمة الله ألم الموت
عن كل واحد ، بعزم واحتمال واختيار ، وليجتاز بهذا إلى
القيامة والمجد . كذلك أيضاً أعلن الرب لبولس الإجابة على
سؤاله وطلبته ، قد أُعطيت شوكتك ، سمات الرب يسوع ،
تحملها فى جسدك « كى لا ترتفع »! فهذه هى الخطيئة القاتلة.

° ° °

أليست الشياطين ملائكة عصت قديماً؟ ارتفعت واستكبرت ،
فهوت من الخدمة السمائية كالبرق الساقط إلى قتام الهلاك .
وإبليس إن هو إلا ملاك أسقطته الكبرياء ، وهوى به الشموخ!
فالله ينزل الأعزاء عن الكراسى ، ويرفع المتضعين ! يجعل
أولين آخرين ، وآخرين أولين !

قد أعطى نذير الهبوط للهاوية ، إلى كفر ناحوم المرتفعة للسماء ! (متى ١١ — ٢٣) ونبوخذ نصر ارتفع ، وافتخر بيمينه التى أقامت بابل العظيمة ، فطرد فى تلك الليلة عيشه إلى البرارى ، وسقط عنه ملكه ! وهيرودس الملك انتفخت أوداجه بالافتخار ، إذ تملقه شعب جاهل ، وعظّمته رعية غبية قائلين هذا صوت إله لا بشر ! فللوقت ضربة الملاك ، وصار يأكله الدود ومات (أعمال الرسل ١٢ — ٢٢ و ٢٣) .

الله لا يشمخ عليه ، التفت عن أولئك المرتفعين ، فهبطوا للهاوية فى طرفة عين ! وليست هناك سوى هذه الواحدة القاتلة ، تقف بين العالم والمسيح ! كبرياء الجسد ، تعظم المعيشة ، ارتفاع الفكر ، شموخ الذات ، كرامة المعصية ، وعصيان العقل المستكبر المفتخر !

فتحب ذاتك ، وهو يريدك أن تبغضها . .

وتفتخر بعلمك ، وهو يطلب خلاصك بجهالة الكرازة . .

وتثق بعقلك ، وهو يطلب قلبك . .

وتشمخ بأعمالك ، وهو يطلب إيمانك .

كان ممكناً أن يسقط بولس فى هذه التجربة ، التى أودت

بملائكة فى القديم ، وهو بشر لحم ودم ، فيتحطم إناؤه المختار ! من أجل هذا قال عن نفسه بروح الله ، إنه لكى لا يرتفع لطمه بشوكة فى الجسد . فدميت روحه حتى لا يفتخر إلا بضعفاته ، وبصليب ربنا يسوع المسيح ! (غلاطية ٦ — ١٤) .

وكان لسان حاله : أمينة هى جراحات المحب ، وحلو المر من يديك الرقيقتين . . لتفنى حياتى المتواضعة فى خدمتك وكرازتك ، لأجاهد الجهاد الحسن ، أحفظ الإيمان ، وأكمل السعى . لأكرز بنفسى عبداً وبيسوع رب ومخلصاً ، فمن هو بولس أو أبولس أوصفا ؟ خدام أمناء عليهم ضرورة ، استؤمنوا على وكالتها لحين عودة صاحبها . كمثل زارع يزرع أو ساق يسقى . . وليس الزارع شيئاً ولا الساقى ، بل الله الذى ينمى . (١ كورنثوس ٣ — ٧) .

* * *

وفى الخاتمة أنصت ، أيها العزيز ، لهذه الكلمات الرقيقة العميقة . .

« تكفيك نعمتى لأن قوتى فى الضعف تكمل » (٢ كورنثوس ١٢ — ٩) .

تكفى نعمتك كل الكفاف وتزيد . .

تكفى قوتك كل الكفاف وتزيد . .
تتمجدان فى ضعفى ، وهوانى ، وآنيتى الخزفية .

القصبة المرضوضة ، تصير مثل عمود لاتتزعزع أساساته..
وجسد الهوان ، يصير هيكل الروح القدس ومسكنه . .
آنية الخزف فى يد الفخارى ، صارت آنية كرامة ومجد . .
والضعف أصبح قادراً ، بالمسيح ، على هدم حصون !

واستجاب الرب لبولس بطريقة أخرى ، غير التى أرادها لنفسه ، كإنسان تحت الضعف . فاختبر ما هو عمل النعمة فى الشدائد والنقصان ، وتيقن أن الله قادر أن يحفظ وديعته إلى ذلك اليوم .

فامكث معى يا سيدى . .
فى موت أو حياة ، فى زيادة أو نقصان ، فى غنى أو عوز . .
فى قسوة أو ضعف ، فى راحة أو عناء ، فى صحة أو مرض ..
فى هذه جميعها ، تكفينى نعمتك وتزيد !
وتطغى قوتك ، وتفيض !
لا شىء لنفسى ، ولك أنت كل شىء . .
لا شىء لنا ، وأنت تملك كل شىء .

آمين

فهرست

	رقم الصفحة
الوقت المقبول	٥
أنشودة حياتى	٧
الإهداء	٩
تقديم	١١
تراتيل الميلاد	١٣
عطاء مثالى	٢٠
تلميذ الصليب	٢٦
الراعى الصالح	٣٢
الريح المضادة	٣٧
الخادم الأمين	٤٦
إفلاس الضمير	٤٩
غيرة الهيكل	٥٦
رائحة الطيب	٥٩
الشجرة العتيقة	٦٦

رقم ال

الربّ محتاج ٠
حرية المجد ٤
قد أُكمل ١
بالحقيقة قام ٣
أُعطيت شوكة ٣